

الآلام من الأدباء والشاعر

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com



أبو فراس الحمداني

الشاعر الامتياز

إعداد

محمد رضا مروة

ماجستير في اللغة العربية وأدابها

دار الكتب العلمية

أبو قراس الجمالي

الشاعر الامتياز

بعد اد

محمد رضا مرفة

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جَمِيعِ الْجَفُورِ مَحْفُوظَةٌ
لَدَارِ الْكِتَبِ الْعَلَمِيَّةِ
بَيْرُوت - لِبَنَان

مَكْتَبَةُ لِسانِ الْعَرْبِ
www.lisanarab.com

بِلَادِ الرِّزْقِ الْعَلَمِيَّةِ بَيْرُوت - لِبَنَان
صَرِيفٌ ١١/٩٤٤٤ - مَتَلْكِسٌ
Nasher el-zaafarani
هَافَنْتُ - ٢٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

مقدمة

أبو فراس الحمداني، فارس وشاعر، ودوحة وريحانة. به انتهى الشعر حسب رأي ابن المعتر. وله فضل كبير في صنع تاريخ الدولة الحمدانية بسيفه وقلمه. بحريته وأسره. ففي كلتا الحالتين كان نبعاً ثرياً للشعر العربي، وللوجدان الإنساني، وللعاطفة الصادقة. ويمثل الكبراء في تاريخنا وشعرنا لأنه ملك، ابن ملك، لم يقل الشعر، ولم ينشد من أجل التكسب والارتزاق.

أبو فراس، الشاعر اليتيم، والشاب القوي، الذي كان نجماً يتلألأً في بلاط سيف الدولة في حلب. أمسى في لحظة أسيراً، يعيش في غياب السجون، ويتحمل ألم الحديد والأصفاد. وبقي صابراً متصبراً. لقناعة راسخة عنده، هي أن القدر يفصل ما يشاء، ولا مرد لفصله. وفي بحثنا هذا حاولنا أن نعثر على جديد عنده، فكان الكبراء، والألم المدوي. والضجيج النفسي. لكن أهم ما وقعنا عليه في شعره هو ذلك الذي كتبه في - خرشنة - أثناء فترة اعتقاله، وأسره. حيث توج العاطفة وكان شاعر العواطف .

والأحساس بلا منازع، وملك الانفعالات النفسية الملتهبة. انفعالات شدتنا إلى المصير الذي وقع فيه، وعشنا معه لحظات الألم، والصبر. وشربنا معه كأس المراارة، وقسوة الحياة. فحاكي صمائمنا أجمل محاكاة. وأعطي حياتنا أعظم مثل بالصبر والتجلد أمام المصائب والكوارث.

أبو فراس الحمداني دوحة الشعر. ماذا عسانا أن نقول فيه؟. إن الكلمات القليلة لا تستطيع أن تعبر عن كل المضامين والأغراض والاتجاهات. لذا ترك الكلام للقارئ، الكبير. عليه يكتشف معنا سرًا من أسرار هذا الشاعر العظيم فنكون وإياه قد بلغنا المراد، وحققنا شيئاً مما نشر.

محمد رضا مروة

يحرر - النبطية

١٩٨٨/١١/١٥



العصر العباسي

قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية إثر هزيمة الأمويين في معركة الزاب. وانتقلت مقايلid السلطة والسلطان من بلاد الشام إلى بغداد. وكان العباسيون قد هبأوا لقيام دولتهم عن طريق الدعوة السرية لإمام هاشمي يُخلص الموالي عرباً وفرساً وغير فرس من حكم بني أمية ويحقق المساواة بين العرب وغيرهم من الشعوب الإسلامية في جميع الحقوق الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. وأعلن العباسيون أنهم أصحاب الحق الشرعي في الحكم والخلافة، واستأثروا بها دون أبناء عمهم العلوين، مما جعل كثيرين منهم يثورون في فترات مختلفة من ذلك العصر. ومضى العباسيون في هذه السياسة وتمادوا في البطش والاستبداد حتى كانت نكبة البرامكة، ونكبة بني سهل، حيث أوججتا المشاعر العدائية والعدوانية بين العرب والفرس. فالعرب يريدون استرداد مجدهم الذي كان في العصر الأموي. والفرس لا يكتفون بما لهم «من مجد حادث في الدولة، وكأنهم يريدون أن يستعيدوا مجد دولتهم الساسانية القديمة ويتحققوا العرب

محقاً مما أعدّ لظهور تيار شعوبي بغيض، رافقه تيار إلحاد وزندقة لا يقل عنه عنفاً ولا محاولة لهدم الإسلام والعروبة جمعياً». ومما زاد من شعور البغضاء والعداء بين الشعوب الإسلامية المختلفة الأعراق والحضارات، اعتماد المتوكّل على العنصر التركي «ذلك العنصر من الرقيق الذي كثُر شراءه من سمرقند وفرغانة... وكان جمهور الرقيق بدواً جفاة».

وكان هذا التحول من المحطات الخطيرة في تاريخ الدولة العباسية، لأن الفرس أنفسهم أصحاب حضارة ومدنية، أما الترك فلم يكونوا أصحاب ثقافة ولا مدنية ولا حضارة. وقد صورهم الجاحظ تصويراً دقيقاً في رسالته التي تحدث فيها عن مناقبهم قائلاً: «الترك أصحاب عَمَدٍ - خيام - وسكنان فياب، وأرباب مواشٍ وهم أغرب العرب... فحين لم تشغله الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ولا غرس ولا بناء، ولا شُقّ أنهار، ولا جباه غلات، ولم يكن همهم غير الغزو والغارات والصيد، وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدوين البلدان، وكانت هممهم إلى ذلك مصروفة، وكانت لهذه المعاني والأسباب سخرة ومقصورة عليها وموصلة بها، أحكموا ذلك الأمر بأسره، وأنوا على آخره، وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمّرهم».

واستطاع الترك في فترة من الفترات أن يسيطروا على الخليفة والخلافة. وصور ذلك بعض الشعراء لعهد الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ)، فقال:

خليفة في قفصٍ بين وصيفٍ وبُغَا^١
يقول ما قال له كما يقول البَبُغا
فالخليفة حيَشَذَ كان مسلوب الارادة، أشبه ببغاء في
قفصٍ، لا ملك له ولا سلطان فالامر كله لحاجبيه - وصيفٍ
وبُغَا - .

وكان من أسباب تدهور الخلافة العباسية أن كثرة الخلفاء انغمست في اللهو والترف والأقبال على كل متاع مادي من بناء القصور وتبذير أموال الدولة في أمور بعيدة عن سياسة الناس ومصالحهم. وما زاد من قمع الناس ومطالبتهم بدفع ضرائب جديدة، وأموال كثيرة كانت تذهب للحجاج، والقواد والجباة وغيرهم من أصحاب السلطة والمكانة. حتى أثنا نقف أمام صورة قاتمة للمبادئ، التي قامت عليها الدولة العباسية وهي المساواة بين الناس. وأصبحنا نقف أمام دولة لم تعد تحكم بقوانين الشريعة الإسلامية، بل أصبحنا بإزاء لصوص ومخالسين وقطاع طرق. وأصبحت الدولة تُسرق وتهب من قبل الولاة والكتاب والوزراء، والشعب وحده

يتحمل البؤس والشقاء . وما زاد من فساد الدولة غلبة النساء على الحكم . فكن كثيراً ما يتصرفن بحسب أهوائهن ، وكن يقتنين الجواري ، والضياع ، والأموال الطائلة . حتى انه قال : «إن المستعين مات وفي خزائن الدولة نصف مليون دينار ، على حين كان في خزائن أمه مليون دينار كاملة».

أمام هذا الواقع الضعيف والمؤلم للخلافة التي أصبحت العوبة بيد الترك والنساء والجواري والقيان ، والكتاب ، والمحاجب ، والأمراء والقادة . بدأت الولايات البعيدة عن بغداد بالاستقلال . فأصبحت فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بنى بويه ، وخراسان في يد نصر بن أحمد الساماني وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والموصل وديار ربيعة وبكر ومصر في أيدي بنى حمدان . والمغرب وافريقيا في يد القائم بأمر الله ابن المهدى الفاطمي ومصر والشام في يد محمد بن طفع الإخشيد . والأندلس في يد عبد الرحمن الناصر الأموي . ولم يبق في يد الخليفة سوى بغداد التي استولى عليها البوهيمون وولوا المطیع لله . وأصبحوا هم أصحاب الشأن . ولم يبق للخليفة سوى سلطان اسمي وأن يُدعى له على المنابر . وما زاد من تفكك الدولة العباسية وضعفها نشوب ثورات كثيرة استنفرت مواردها الاقتصادية ، خاصة ثوري الزنج والقرامطة .

أما الحياة الاجتماعية في العصر العباسى فكانت تتالف من ثلات طبقات أساسية:

١ - طبقة عليا: وتتألف من كبار القوم وأصحاب السلطة والقواد والولاة ومن يلحق بهم من أمراء ورجال دولة وتجار، وأصحاب اقطاعيات كبيرة.

٢ - طبقة وسطى: وتشمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين.

٣ - طبقة دنيا: وتشمل عامة الشعب من زراع وحرفيين، وخدم ورقيق. ويأتي بعد هذا أهل الذمة.

وكانت حياة الطبقة الأولى والثانية حياة ترف وبذخ ونعم، أما الثالثة فكانت تعيش في شظف العيش، وفقر وبيوس وحرمان. وكان يقع عليها عبء العمل والانتاج الصناعي والزراعي، وفي خدمة أرباب القصور، فهي التي تقوم على تقديم أسباب الرفاه والعيش المترافق للطبقتين الوسطى والعليا. فكل ما تناه الطبقتان من النعيم، وإنما هو من أيدي هذه الطبقة العامة.

ومما نلاحظه في العصر العباسى كثرة الرقيق الذي كان منتشرًا في كل مكان، في القصور والأكواخ، وفي الصناعات وفي الزراعة. ومنه الأفريقي، والجيشي السوداني، والتركي

والصقلبي، ومنه الصيني والخراصاني والأرمني والبربرى. وهذا مما زاد من تجارة الرقيق، وإقامة أسواق خاصة لها. وهذا ما يذكره اليعقوبى في جغرافيته «من أن سوق سامراء في القرن الثالث الهجرى كانت مربعة، وبها طرق متشعبة، وفيها الخمر والغرف والحوانيت». وكان عليها موظف رسمي يُسمى - قِيم الرقيق.

وكثرت الإماماء والجواري في القصور حتى يقال أن الم وكل اقتني منها «أربعة آلاف جارية»، وعني المجتمع العباسى بفن الغناء والموسيقى وهذا ما تثبته التواريخ القديمة خاصة كتاب الأغانى، وكتاب - الفهرست. وكان للجواري في هذا الجو المشبع بالموسيقى والغناء أثر كبير في شیوع الظرف والرقة واللطف. مما جعل الشعر يكتظ بمعانى الرقة واللطف واللين.

في هذا المجتمع المشبع بكل شيء من التناقضات، انتشر المجنون بشكل رهيب حتى أمعن الناس في شرب الخمر واحتسانها، والادمان عليها. دون رؤية التحرير الذي جاء في القرآن الكريم للمسكر من المشروبات. وكانت قصور الخلفاء، ومراكز الخلافة كأنها مقاصف للشراب والسماع والغناء، وكذلك كانت قصور الأمراء والوزراء وكبار أصحاب المناصب في الدولة، وتورط فيها بعض القضاة،

وكتير من علماء اللغة وغيرهم أمثال - ابن دريد - الذي كان يعكف عليها عكوفاً شديداً. ويقول أبو حفص ابن شاهين : «كنا ندخل عليه فستحيى مما نرى من العيadan المعلقة والشراب وقد جاوز التسعين» ومن يتصفح كتاب الأغاني لأبي الفرج يجد أن الشعراء أوغلوا في احتساء الخمرة، وأدمروا عليها إدماناً شديداً. وكانوا يعقدون لها المجالس في المساء والليل والصباح. وكان يدور عليهم السقاة والساقيات من الغلمان والجواري. وكانوا يزبنون مجالس الشراب بالورود والرياحين. وكانت البساتين حول سامراء وبغداد تمتلىء بحانات الخمر والسماع، وكان الشعراء والناس يختلفون إليها. وكثيراً ما صور الشعراء هذه المجالس، وصوروا كذلك جمال الطبيعة وجمال المرأة ونشوة الخمر. من مثل قوله البحيري :

إِشْرَبْ عَلَى زَهْرِ الرِّيَاضِ يُشْوِبْهُ
زَهْرُ الْخَدُودِ وَزَهْرَةُ الصَّهْبَاءِ

مِنْ قَهْوَةِ تُنْسِي الْهَمْرَمْ وَتَبْعِثُ الدَّ
شَوْقَ الَّذِي قَدْ ضَلَّ فِي الْأَحْشَاءِ

وكان عمال الحانات من الأجانب سواء الرجال والنساء. ويقول الجاحظ : «من تمام آلة الخمار، أن يكون ذميأ وأن

يكون اسمه آذين أو مازيار أو مينا أو شلوماً ويكون أرقط الثياب مختوم العنق». أما الجواري فكأنَّ من القیان الأجنبية وكأنَّ يتقدن في العین التي يجذبها الرجال. وقد صور الجاحظ تلك الحالة بقوله: «كيف تسلم القيمة من الفتنة أو يمكنها أن تكون عفيفة، وإنما تكتسب الأهواء وتعلّم الألسن والأخلاق بالمنشأ، وهي إنما تنشأ من لدن مولدها إلى أوان وفاتها فيما يصد عن ذكر الله من لهو الحديث... وبين الخلعاء والمجان من لا يسمع منه كلمة جد ولا يُرجع منه إلى ثقة ولا دين ولا صيانة مروءة. وتتروي الحادقة منهن أربعة آلاف صوت (أغنية) فصاعداً يكون الصوت فيها بين البيتين إلى أربعة أبيات، وعدد ما يدخل في ذلك من الشعر إذا ضرب بعضه ببعض عشرة آلاف بيت، ليس فيها ذكر الله إلا عن غفلة ولا ترهيب من عقاب، ولا ترغيب في ثواب، وإنما بنيت كلها على ذكر... القيادة والعشق والصبوة والشوق والغلمة، ثم لا تنفك من الدراسة لصنعتها منكبة عليها تأخذها من المطارحين الذين طرُحُهم كله تجميش وإنشادهم مُراودة».

وتحولت الأديرة في هذا الجو الماجن إلى دور للعبث واللهو. وكانت تقدم لروادها الخمور المعتقة. ووصفها الشعراً بكثير من الشعر الرقيق والجميل. وسادت الروح

الشعوبية أمام هذا الإفراط في العبث والمجون، وكان نفسية الناس عادت لتأصل في أعرافها من جديد الروح العاهمة القديمة، وصار كل فريق يشيد بحضارته وأيامه وتاريخه، وما عنده من علوم وأداب وفنون وحضارة. وكان مبادئ الإسلام قد ذهبت أدراج الرياح أمام هذا الجو العاثر اللاهي. وما دعوته بهدم الفوارق العصبية بين القبائل والجنسية بين الشعوب، إلا مبادئ تخلّى عنها الناس أمام هذا الطغيان العارم من اللهو والعبث واللامسؤولية الأخلاقية والدينية. ومن كان يذهب هذا المذهب من الحماقة والجهالة والعداوة للعرب، وبث روح الشعوبية العميماء بين الناس، المتوكلي الشاعر المنسوب إلى المتوكل لأنّه كان من ندائه، إذ يقول في شعوبية حاقدة عميماء.

أنا ابن الأكابر من نسل حم
وحائز إرث ملوك العجم
وطالب أوتارهم جهرة
فمن نام عن حقّهم لم أنم
فقل لبني هاشم أجمعين
هلموا إلى الخلع قبل الندم
وعودوا إلى أرضكم بالحجاج
لأكل الضباب ورعسي الغنم

فإنني سأعلو سرير الملك بحد الحسام وحرف القلم

وأدت الشعوبية إلى الزندقة والزنادقة الذين كانوا يكرهون العرب وكل ما يتصل بهم من إسلام وغيره ويوضح ذلك الجاحظ بقوله: «إن عامة من ارتات بالإسلام إنما كان أول ذلك رأي الشعوبية والتمادي فيه وطول الجدال المؤدي إلى الضلال، فإذا أبغض شيئاً أبغض أهله، وإن أبغض تلك اللغة أبغض تلك الجزيرة، وإذا أبغض تلك الجزيرة أحب من أبغض تلك الجزيرة، فلاتزال الحالات تنتقل به حتى يسلخ من الإسلام، إذ كانت العرب هي التي جاءت به، وهي السلف والقدوة». هذا التشكيك بالإسلام قادهم إلى التشكيك بالبيوه وبالقرآن الكريم. وإنى رفض البيانات السماوية كلها.

وأمام هذه الزندقة والكفر والالحاد، كان الزهد والتتصوف. وكانت حلقات الوعظ في مساجد بغداد وغيرها من المدن الإسلامية قائمة وثابتة وكانت تلك الحلقات تذكر الناس بالله واليوم الآخر، وبالجنة والنار، وبالنعم والجحيم. واختلط الوعظ بالقصص الديني، وكثير النساك والزهاد، وابتعد هؤلاء عن الحياة الدنيا، وعاشوا حياة تبتل وعبادة، وكانت حياتهم تقشف وعبادة. حتى وصلت تلك الحالة من الزهد إلى التصوف، وأول من سلك هذا الدرب في أواخر

القرن الثاني الهجري - ابراهيم بن أدهم وشفيق البلخي - صاحب اليد الطولى «في مبدأ التوكل وإشاعته بين أوائل المتصوفة». والمعروف الكرخي الذي أشاع مبدأ المعرفة الإلهية، «وأنها غاية المتصوف وحدها لا النجاة من عذاب الآخرة».

الحياة العقلية :

الحركة العلمية :

حَتَّى الإسلام أمه على طلب العلم. ومع الفتوحات التي تحققت في العراق وايران والشام ومصر، أخذ المسلمون ينهلون من علوم ومهارات وثقافات الأمم والحضارات التي رأوها. وساعدهم على ذلك كثرة التعرّب. وتعلم بعض العرب لغات الأمم الأخرى. ومع انتصارات القرن الثاني الهجري حتى تكونت لدى العرب ثقافة علمية لا حصر لها، مما مكّنهم أن يتحولوا إلى أمة علمية تعنى بكل جوانب العلم الذي كان معروفاً عند الأمم القديمة مثل الفرس والهنود والسريان واليونان، وأضافت عليه علوم القرآن والشريعة والشعر والنحو والعرض.

وفي هذا الجو العاين بالعلم والتعلم نشأت الحلقات في المدارس وكثرت. وأصبح لدينا مجموعة كبيرة من المؤلفين والكتبة. وكانت الخلافة ذاتها ترعى الأدباء والمثقفين والشعراء. فالجاحظ مثلاً أهدى كتابه *نحو* إلى محمد بن عبد الملك الزبيات وأعده خمسة آلاف دينار

وأهدى كتابه: «البيان والتبيين» إلى أحمد بن أبي دؤاد فأعطاه أيضاً خمسة آلاف دينار وأهدى كتابه: «الزرع والنخل» إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاه مثلكما خمسة آلاف دينار. وصنف للفتح بن خاقان وزير المأمور رسالته في فضائل الترك «فأجرى عليه راتباً شهرياً من خزانة الدولة». والذي حدث الناس لطلب العلم ذلك الجو السائد في الحلقات في المساجد، وكثرة المناظرات بين العلماء في المساجد وقصور الخلفاء والوزراء في الكلام وفي الفقه وفي اللغة وال نحو وغير ذلك من العلوم التي كان يشتهر فيها الخلاف والجدل. وكثرت في هذا العصر الكتب والمصنفات، وكان الشباب يكتري دكاكين الوراقين للقراءة والمطالعة ويقول العجاظ في ذلك «وقد تجد الرجل يطلب الآثار - الحديث - وتأويل القرآن، ويجالس الفقهاء خمسين عاماً وهو لا يُعدُّ فقيهاً، ولا يُجعلُ قاضياً، مما هو إلا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشباه أبي حنيفة، ويحفظ كتاب الشروط في مقدار سنة أو سنتين. حتى تمر بيابه فتظن أنه من بعض العمال، وبالحرى إلا يمر عليه من الأيام إلا البسيير حتى يصير حاكماً (قاضياً) على مصر من الأمصار أو بلد من البلدان». وبجانب الوراقين كانت هناك مكتبات يختلف إليها الناس والشباب من كل مكان. وشغفهم بالعلم في ذلك العصر

قادهم إلى الرحلة من بلد إلى بلد طلباً للعلم، فكان اللغويون يرحلون إلى البوادي محتملين ما فيها من شظف العيش وخشونة في سبيل جمع اللغة. ورحل الفقهاء من مكان إلى آخر للتتلمذ على أئمة العلم، وكذلك فعل العلماء من كل علم. وكان العلم لجميع الطبقات، ونال منه الجميع القسط الوافر، في المساجد وفي الأماكنة المتخصصة للدراسة كدكاكين الوراقين وغيرها. وقد شاركت النساء في هذه الظاهرة العلمية - الثقافية، وكأنّ يختلفن إلى حلقات المتكلمين والفقهاء وغيرهم. وبرز في الثقافة الدينية أكثر من امرأة، مثل - قهرمانة أم المقتدر التي كانت تجلس لسماع المظالم والحكم بين المتظالمين، ويجلس معها القضاة والعلماء حتى أن واحداً مثل الطبرى كان قد أفتى بجواز ولاية المرأة القضاة. ويدل هذا على ما بلغته المرأة من التعمق في الفقه وعلوم الشريعة.

وكانت حركة النقل ناشطة، وترجم العرب علوم الحضارات الهندية والفارسية واليونان. وكان أكثر ما نقلوه عن الفرس والهند في مجال الفلك والرياضيات ونقلوا عن اليونان مجموعات من العلوم منها الرياضيات والعلوم الطبيعية. وشاركوا في عملية وضع أسس جديدة لهذا التراث. وكان العلماء ومنهم - يوحنا بن ماسوبيه - وأضع الأسر

الصحيحة لعلم التشريح . ومحمد بن موسى الخوارزمي مكتشف الرياضيات وعلم الجبر . والذى هىأ لهذه النهضة الفكرية العلمية ، رعاية الخلفاء لها . منذ أيام أبي جعفر المنصور الذى شجع على الترجمة والنقل . وأنشأ هارون الرشيد دار الحكمة ، التي رعاها من بعده ابنه المأمون .

ولم تكتفى النهضة على النقل والوضع والترجمة بل ابتكرت علوماً جديدة تدور حول اللغة العربية . وكان علماء اللغة يرحلون إلى البوادي في نجد وغيرها ليسجلوا كلمات اللغة من مواطنها الأصلية . ويرجع الفضل في إقامة صرح النحو العربي إلى مدرسة البصرة . وبعدها جاءت مدرسة الكوفة . وشاع علم البلاغة خاصة في القرن الثالث للهجرة ، ونشر ابن قتيبة في كتابه : «تأويل مشكل القرآن» ملاحظات متنوعة عن الخصائص البينية والأسلوبية ، على حين ألم - المبرد - في كتابه - الكامل - بالكتابة والتشبيه . وإذا كانت البلاغة خطت خطوات مهمة في العصر العباسي ، فإن النقد بدوره خطى خطوات مهمة ورائدة ، ولكن عملية النقد لم تستطع أن تصوغ لها قوانين ونظريات ، وذلك ناتج عن طبيعة العصر ذاته . ونشطت إلى ذلك ، العلوم التاريخية التي شهدت نشاطاً واسعاً وعظيماً . وكان تدوين السيرة النبوية ، والأحداث الإسلامية ، وتاريخ الأمم والدول ، وكتابه في

المدن، وفي التراث والطبقات.

وتوسّطونا نهضة الشعر في هذا العصر. إذ ان الشعراء كانوا قد استفادوا من النظريات النقدية، والفلسفات القائمة في هذا العصر. واستفاد الشعراء من اللغويين الذين كانوا يجمعون اللغة، وقواعدها النحوية والصرفية والموسيقية. ولللغة العربية بكل خصائصها الجمالية والموسيقية والصرفية والنحوية وضعت تحت أعين الناشئة وفي متناول الناس في القرن الثالث الهجري. وتم ذلك بشكل علمي دقيق. واستفاد منها الشعراء بشكل جيد. حتى كان العصر العباسي من أجدود العصور التي قدمت شعر العرب، بأفضل وأجود صوره. ويتبّع ذلك بما جادت به القرائع من تجديد في الموضوعات، وتجديد في الأسلوب. ورجوعاً إلى بعض شعراء تلك الحقبة الزمنية نتأكد من تلك الحقيقة خاصة عند ابن الرومي - والمتنبي والبحترى، وأبي تمام، وأبي نواس، وابن المعتر، وغيرهم من الشعراء الذين أتحفوا الزمان بما جادت قرائحهم، وأعطت نفوسهم.

- إمارة بنى حمدان
- أبو فراس / حياته .
- رأي النقاد فيه .

إمارة بنى حمدان

- الحياة العقلية:

بعد ضعف الدولة العباسية، استقل آل حمدان من بنى تغلب بالموصل وحلب وما إليها من سنة ٣١٧ إلى ٣٩٤ هـ. ونشأت في حلب دولة عربية أخرى هي المرداشية ٤١٤ - ٤٧٢ هـ. والمهم هنا رؤية الحياة العقلية التي أحاطتها بعض الأمراء العباسين الرعاية، ففي حياة المتوكل، كان للحياة العقلية مراكز أهم مواطنها: مصر والشام، العراق وجنوب فارس، خراسان وما وراء النهر، السند وأفغانستان، بلاد المغرب. والذي يعنيها من هذه المراكز بلاد الشام أثناء حكم بنى حمدان، وخاصة إبان حكم سيف الدولة.

ولد علي بن حمدان سنة ٣٠٣ هـ. وهي سنة ولادة المتتبّي. ومات عام ٣٥٦ بعد مقتل أبي الطيب بستين، وقبل مقتل أبي فراس بأقل من سنة.

انتزع حلب من يد أحمد سعيد الكلابي عام ٣٣٣ هـ. ولم يكن من الملوك أغزى منه، حتى «إنه كان قد جمع من نفقة الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً، وعمله لينة

بقدر الكف، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده، فأنفذوا وصيته». وكان إلى جانب قوته أدبياً شاعراً «لم يجتمع بباب أحد من الملوك، بعد الخلفاء، ما اجتمع ببابه من الشعراء». مات في حلب، ونقل إلى - ميافارقين - ودفن في تربة أمه. ولا شك أن هذه الحركة الأدبية التي قامت في بلاد الحمدانيين. كانت أعظم حركة في الأدب واللغة والشعر والعلوم عرفتها بلاد الشام في ذلك العصر. قال التعالibi : «جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداؤة وحلاؤة الحضارة، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبني ورقاء، هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين آداب السيف والقلم، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينقده، ويثبت على الجيد منه فيجزل ويفضل».

ويرجع فضل نشوء تلك الحركة الثقافية الفكرية لسيف الدولة، الذي حصن في بلاطه أمراء الفكر، وأمدتهم بالتشجيع والمال اللازمين لتطور أي حركة فكرية. وقد هيأته الطبيعة لذلك، وحمل الرسالة، فهو عربي يعتز بنفسه، وينسبه التغلبي ويُفخر بِمَجْد آبائه، وأجداده. تُسکره الأحداثة، ويطربه المدح الضارب في الأفاق. وهو فارس ميدان يجمع إلى البطولة والباس والشجاعة، الرأفة والحلم

والكرم. قصده الشعرا والأدباء والعلماء من كل صوب لما عرروا فيه من طيب المزايا، فأنفق عليهم ثروةبني حمدان المادية، لتبقى ثروة العقول. ومن أطرف ما يروى عن كرمه أنه «كان يصوغ للصلات دنانير خاصة تحمل اسمه ورسمه، يغدق منها على الشعراء. فلا عجب أن يصبح مضرب الأمثال في الجود فيئمه المعوزون وأصحاب الحاجات».

وتشجيع سيف الدولة للأدباء والشعراء والعلماء لم يكن من قبيل الهوس، والصدفة العابرة، أو حب المدح، وتعدد مأثره، وما ثر ببني حمدان، بل كان نتيجة ذوق وفهم وإدراك، ولطالما أيقظ الحاسة الفنية في الشعراء بفضل إثارة المنافسات بينهم. ونجد أخبار هذه المنافسات في «البيتية» وسوها من الكتب الأدبية القديمة. ومن هذه الأخبار.

سأل سيف الدولة مرةً من يجوز هذا البيت:

لَكْ جَسْمِي تُغْلِهُ فَدَمِي لَمْ تُجْلِهُ
فأجاوه أبو فراس بقوله:

أَنَا إِنْ كُنْتْ مَالِكًا فَلِي الْأَمْرُ كُلُّهُ
وانتقد المتنبي مرةً في قوله:

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكْ لِوَاقِفٍ
كَائِنُكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

تمر بك الأبطال كلمني هزيمة
ووجهك وضاح وشفرك باسم

ورأى أن يكون عجز البيت الأول تتمة لصدر البيت الثاني، وأن يكون عجز البيت الثاني تتمة لصدر البيت الأول. وقد دار نقاش طويل حول هذا وجاء كله في - البيتيمة -.

وسائل جماعة من العلماء بحضوره يوماً: «هل تعرفون اسمـاً ممدودـاً وجـمعـه مقصـورـاً؟ فقال ابن خـالـويـهـ: إـنـيـ أـعـرـفـ اـسـمـيـنـ لاـ أـقـولـهـماـ إـلـاـ بـأـلـفـ دـيـنـارـ لـثـلـاـ يـؤـخـذـاـ بـلـ شـكـرـ». ولـماـ وـعـدـهـ الـأـمـيرـ بـمـاـ طـلـبـ قـالـ: «هـمـاـ: صـحـراءـ وـعـذـراءـ، فـإـنـ جـمـعـهـمـاـ صـحـارـىـ وـعـذـارـىـ». وـمـثـلـ هـذـهـ الـأـخـبـارـ كـثـيرـ، وـكـلـهـاـ جـرـتـ فـيـ بـلـاطـ سـيفـ الدـوـلـةـ. وـأـهـمـ ماـ يـلـفـتـ النـظـرـ مـاـ كـانـ بـيـنـ الـمـتـنـبـيـ وـخـصـومـهـ فـيـ ذـلـكـ الـبـلـاطـ. فأـبـوـ الطـيـبـ قـالـ فـيـ سـيـدـ حـلـبـ أـفـضـلـ وـأـرـقـىـ وـأـصـدـقـ شـعـرـهـ، بـعـدـماـ فـتـحـ لـهـ الـأـخـيـرـ الـمـجـالـ عـلـىـ مـصـرـاعـيـهـ بـفـضـلـ كـرـمـهـ وـمـزاـيـاهـ الـفـريـدةـ. وـحـقـيقـةـ تـقـالـ فـيـ هـذـاـ، إـذـاـ كـانـ الـحـمـدـانـيـ صـنـيـعـةـ شـعـرـ الـمـتـنـبـيـ، فـلـاـ شـكـ إـنـ شـعـرـ سـيـدـ الـشـعـرـاءـ كـانـ شـيـئـاـ آخرـ لـوـلـاـ ذـلـكـ الـمـمـدـوـحـ. وـلـلـاـنـصـافـ نـقـولـ، لـوـلـاـ الـأـمـيرـ لـمـاـ وـجـدـ الشـاعـرـ، وـلـوـلـاـ الشـاعـرـ لـمـاـ عـرـفـ الـأـمـيرـ.

وأبو فراس، ابن عم سيف الدولة، فقد غدا بفضل رعاية هذا القريب من الشعراء الفرسان، يقول: «غزونا معه وفتحنا حصن العيون في سنة ٣٢٩، وسنني إذ ذاك تسعه عشر عاماً». وهذه الرعاية، والعيش الكريم، نراهما في شعره حينما أسر في بلاد الروم، إذ ضجت رومياته بذكريات البلاط الحمداني. وفي الحنين إلى هذا البلاط يقول الخوارزمي: «وقد رأيت في حضرة أبي محمد العلوى بأصبهان، أقواماً كنت شاهدتهم على باب سيف الدولة، ومنهل الصفاء عذب، وعود الشباب رطب، وذكرت بهم مأرب هنالك، وأياماً سُلبتها سلبًا، ونزعـت من يدي غصباً، ودهراً كأني كنت أقطعـه وثباً».

ومن أهم شعراء البلاط الحمداني، أبو العباس النامي، وقد فضلـه سيف الدولة على جميع شعرائه، بعد المتنبي. من جميل قوله في مدح الأمير الحمداني:

إذا ما على أمطرتك سماوة
رأيت العلى، أنواها تنحلب
يرجى ويخشى ضرها وهو نافع
كذا البحر في أزاته متھيئـ
يروع ويبدو الأنس منه كأنه
الهوى، لذعـه بين الجوانب يعذبـ

وأزهـر بـيـضـنـى الـدـى مـنـه فـى الرـضـى
وتحـمـبـرـ أـطـرافـ الـفـاحـينـ يـغـضـبـ

ومن الشعراء الذين لازموا البلاط الحمداني حتى الممات أبو الفرج البيهقي، ومنهم الواواء الدمشقي، والأخوان أبو بكر محمد بن هاشم وأبو عثمان سعيد بن هاشم. القيماني على مكتبة سيف الدولة، وابن نباتة السعدي.

وتخرج من المدرسة الحمدانية في حلب أبو بكر الخوارزمي، والقاضي أبو الحسن الجرجاني. وكان للغة والنحو المجال الواسع في هذا البلاط بعد أن ضم بين جنبيه علماء أمثال أبو علي الفارسي، وتلميذه ابن جنى الذي يقول فيه المتنبي: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس». وابن خالويه الذي كان بينه وبين المتنبي محاسدة وخصام. وجذب بلاط سيف الدولة الفارابي الفيلسوف الكبير، وقد بقى في الشام حتى وافته المنية عام ٣٣٩ هـ. وذكر ابن أبي أصيبيعة في طبقات الأطباء «أن سيف الدولة أحاط برعايته ومعونته أربعة وعشرين طبيباً، يعطيمهم لكل عمل عطاء. منهم عيسى الرقى الذي كان ينال «أربعة أرزاق: رزقاً بسبب الطب، ورزقاً بسبب ترجمة الكتب من السريانية إلى العربية، ورزقين بسبب علمين آخرين».

وكان لهذه المدرسة فضل كبير على فيلسوف الشعر أبي العلاء المعري الذي استفاد من التراث الفكري، والعقلي الذي تركه سيف الدولة بعد مماته، ولأن الحركة العلمية - العقلية، الفكرية - الفلسفية التي أسسها سيف الدولة بقيت حية في أيام المعري ذاته. رغم موت سيف الدولة، وولادة أبي العلاء بعد وفاته بثماني سنوات أي في سنة ٣٦٣ هـ. استفاد المعري من الجو الثقافي العام الذي تركه الحمدانيون، والذي انتشر في محيط بلاد الشام كلها.

- أبو فراس الحمداني -

(٣٢٠ - ٩٣٢ هـ) (٣٥٧ - ٩٦٨ م)

ينتهي نسب أبي فراس الحمداني إلى العرب من جهة أبيه، وإلى الروم من جهة أمه. وقد صرخ بذلك في إحدى قصائده بقوله:

إذا حَفِتْ مَنْ أخْوَالِيَ الرُّومُ خَطْهُ
تَحْرُقْتُ مِنْ أَعْمَامِي الْعَرَبِ أَرْبَعاً

اسمه الحارث بن سعيد بن حمدان. ولقبه أبو فراس. ولد في الموصل سنة ٩٣٢ هـ ٣٢٠ م. ونشأ يتيم الأب، إذ أن والده اغتيل في عام ٣٢٣ هـ. وكان عمره آنذاك ثلاثة أعوام. وتذكر الروايات حديث مقتل والده ونقول: إن حمدان جد الشاعر، وقد عرف بالطموح، لما رأى تسرب الضعف إلى جسم الدولة العباسية في أيامه، حدثه نفسه بالاستيلاء على بعض مقاطعاتها، على أن الموت لم يمهله، فقضى قبل تحقيق أمنيته. فإذا بابنه عبد الله والد سيف الدولة، يستولي على الموصل ويورثها لابنه ناصر الدولة الحسن. فما كان من سعيد، والد أبي فراس، إلا أن سعى مع الراضي بالله لأجل

توليه الموصل، وديار ربيعة. ولكنه عندما أراد دخولها، لم يتردد ابن أخيه ناصر الدولة من قتله.

وعندما استولى سيف الدولة على مقايليد الدولة الحمدانية، أحاط ابن عمه اليتيم بالعطف والحنان، والرعاية والتربية. حتى أنساه شبح الجريمة، وجعله يصفح عن ابن عمه القاتل. وقد صرخ الشاعر نفسه بذلك العطف والرعاية التي أحاطه بهما سيف الدولة، ويقول مخاطباً سيد حلب:

إذ أنت سيدى الذى
ربيتني، وأبى، سعيد

ويقول أيضاً:

هيئات، لا أجحد النعماء مُنعمها
خلفت، يا ابن أبي الهيجاء، في أبي

ويقول في المعنى نفسه:

أراني كيف اكتسب المعالي
وأعطاني على الدهر الزمام
ورثاني ففقت به البرايا
 وأنشأني فسدت به الأناما.

وبالرغم من هذا الثناء، والاعتراف بالفضل والجميل.
فإن الخلاف بين الحمدانيين لم يمح أثر الجروح الماضية.

وكان الكراهة لفرع الشاعر بادية وواضحة، وقد برزت في مواقف كثيرة. فخشية سيف الدولة، وناصر الدولة كانت دائمة من بروز نجم أبي فراس في مضمون السياسة والأدب. وكانا يعملان دونه دون ذلك. فكان لهذه التصرفات صدى عجيبة، مجبولاً بالمرارة في نفس الشاعر، ونسمع دخائل نفسه حينما يقول أحياناً بتلك المرارات. ومن قوله في هذا:

تمنيتم أن تفقدوني وإنما
تمنيتم أن تفقدوا العز أصيدا
إن الحب الظاهر بين سيف الدولة والشاعر، لم يكن
كمثله في الدخائل والصدور. بل كان هذا الود قائماً على
عدم الثقة والاطمئنان. وجاء في ديوان أبي فراس أن أمه
عرفت ابنها، وهو لا يزال فتى، إلى مواطن الحميدانيين.
ولكنه استقر أخيراً في منبع. التي يصفها بـ «شعر جميل جاء فيه»:

فف في رسوم المستجا
ب وخلي اكتاف المُضلى
أوطنتها زمن الصبا
وجعلت منبع لي محلأ
حيث التفت رأيت ماء
سابحا، وسكت ظلا

والماء يفصل بين زهر
الروض في الشطبين فصلا
كبساط وشي جردت
أيدي القبور عليه نصلا

وتربي على أيدي علماء زمانه، وتعهده فرسان وأساتذة
فعلموه الفروسية وأساليبها. كما علموه العلوم المعروفة في
عهده، فنشأ مغواراً مقداماً. ولطالما شكا وتألم، إذا لم يكن
له في الغزو نصيب. ويقول في هذا مخاطباً سيف الدولة:

لا تشغلن فأرض الشام تحرسه
إن الشام على من حلّه حرم
لا تحرمني سيف الدين صحبيه
 فهي الحياة التي تحيا بها الأمم^(١)

وفي عام ٣٣٦ هـ أقطع أمير حلب - سيف الدولة - الشاعر
الفارس ضيعة بأعمال منبع، تغل الفي دينار في السنة. ثم
ولاه بعد ذلك على منبع - وهو حصن حلب المنبع - وحران
وأعمالهما جميراً. فكان على أبي فراس، أن يكون متيقظاً،
متتبهاً لحركات الروم من جهة، ولحركات البدو من جهة
ثانية. وكلا العدوين قوي، وطامع بأرض الدولة الحمدانية.

(١) الضمير في صحبيه يعود لسيف الدولة.

ومن أخباره في معاركه مع البدو قيل إنه: «لما سرّف سيف الدولة وانقطع أبو فراس في العرب على غير لطريق التي سلكها الأمير... فوّقعت عليه خيول بني قشير وهو في خمسة عشر فارساً، وقد أطمعها ما جرى وبعها طرائد، وقلائع قد أخذتها من شزاد العساكر، فشد عليهم، وانتزع ما معهم حتى حجزه الليل وأسر سبعة منهم، وأخذ عدة خيل وفرقها على أصحابه وأنشأ يقول:

أبا عجا لامر بني قشير
أرعوانا. وقالوا: القوم قُلُّ
وكانوا الكثير يومئذ ولكنْ
كثروا، إذا تعاركنا، وقلُّوا
فولوا للقنا والبيض فيهم
وفي جيرانهم نهلٌ وغُلُّ
ورحنا بالفلائع، كُلُّ نهدٍ مُطلِّ
وتحدثنا الروايات التاريخية أن بني زراراة تعرضت لبعض
نواحي الشام فخرج إليهم أبو فراس، وحاربهم وانتصر، وأسر
البعض منهم. فخرجت أم بسام في نسوة من فتيات العرب.
فوهب لهم المال، وأطلق أسرى بني كعب وقال في ذلك
قصيدة جاء فيها:

حاز نزعنه قسراً في بيونكم
 والخيل تعصب فرسنا بفرسان
 بالمرج، إذ أمّ بسام تناشدني:
 بنات عمك يا حار بن حمدان
 فبُثت أثني صدور الخيل ساهمة
 بكل ماضطن بالحقد ملأن
 ونحر قسم إذا عدنا بسيئة
 على العبرة، أعقبت بـحسنان
 وعلى رغم البلاء الذي كان أبو فراس يبلوه في سبيل
 الدولة الحمدانية من أجل إرساء دعائمها، والقضاء على
 خصومها، والعابدين بأمنها من قبائل البدو والروم الطامعين.
 فإن الشك بقي بين الأمير والشاعر. وظلت الريبة بينهما
 تفرض على القلوب مساوى، الأيام السالفة.
 وتلعب الصدف. وتشاء الظروف أن يلتقي سيف الدولة
 بأبي الطيب المتنبي. ويحمله إلى بلاطه. فتقوم قائمة شعراء
 البلاط عامة، وأبو فراس خاصة. لقدمه جبار الشعراء. وتبدأ
 المباحثات، والمحاذيرات، وتشحن النقوس. ويتنافر الناس،
 ويصبح بلاط حربان. مما جعل الشاعر عرضة لسهام
 الخصوم، ولإسءاتبني حمدان، أبناء عمه. ويقول أبو
 فراس ناقما على ابن عمه:

وكم لك عندي من غدرة
وقولٍ تكذبُه بالفعلَ
ووعد يُعذبُ فيه الكريمةُ
إما بخليفةٍ وإما بِطَالْ
صبرنا لسخطك صبر الكرام
فهذا رضاك فهل من نوال
وذقنا مرارة كأس الصدود
فأيسن حلاوة كأس الوصول

إلا أن هذه النقطة بقيت في حدود الكلام. ويرجع ذلك إلى ضعف الشاعر بالنسبة إلى ابن عمه. وفكرا بالاتصال بأعداء قومه وأقاربه.بني طفح، وهذا ما يدل عليه قوله لغلامه:

أيا منصور خانتني ثقاتي
فمهد لي على العدو سرجي
بنو حمدان حسادي جميماً
فما لي لا أروز بنى طفح
ويقى الخلاف مستمراً بين الشاعر وبني حمدان، أبناء
عمه. وربما كانوا قد اتفقا على مخاصمتة ومضايقته. فيقول
لسف الدولة:

قد كنت عذني التي أسطو بها
ويدي إذا اشتد الزمان وساعدني
فِرْمَيْتُ منك بغير ما أملته
والمرة يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقى لبره
أغضي على ألم لضرب الوالد

أبو فراس في الأسر

تذكر الروايات التاريخية أن أبو فراس وقع في أسر الروم. لكن الخلاف يكمن في الروايات المتناقضة حول أسره. فمن الرواة من قال انه أسر مرة واحدة ومنهم من رأى أنه أسر مرتين. ويورد أصحاب الرأي الثاني أنه في العام ٣٤٨ هـ خرج لمحاربة البيزنطيين عند مغارة الكحل، فأسر ونقل إلى خرسنة - قلعة ببلاد الروم قرب ملطية يجري من تحتها الفرات - وفيها حصن يطل على النهر، فقر الأسير بنفسه. ويقول ابن خلkan: «إن الشاعر ركب جواده، وركضه برجده، وأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات»، ولكن حادثة من هذا النوع، أقرب إلى الأسطورة منه إلى الحقيقة. وقيل: ابن سيف الدولة فداء.

وفي عام ٣٥١ هـ هاجم الروم منبع فأسر أبو فراس. فنقلوه إلى القسطنطينية حيث بقي أربع سنوات. كتب خلالها رومياته. ثم افتدى عام ٣٥٥ هـ. أما الرأي الثاني فيرى أصحابه «أن أبو فراس عند أسره، نقله الروم إلى خرسنة، ومنها إلى القسطنطينية عام ٣٤٨ هـ. وعلى هذا تكون مدة الأسر سبع سنوات لا أربعاً. وهناك فئة ثالثة تقول إن الشاعر

أسرَّ مِرْةً وَاحِدَةً. وَدَامَ أُسْرَهُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ فَقَطْ. وَيُذَكِّرُ ابْنُ
خَالُوِيَّهُ «إِنَّ ابْنَ أَخْتَ مَلِكِ الرُّومِ، خَرَجَ فِي أَلْفِ فَارِسٍ إِلَى
نَوَاحِي مَنْبَجِ، فَصَادَفَ الْأَمِيرَ أَبَا فَرَاسٍ يَتَصَبَّدُ، وَمَعَهُ سَبْعُونَ
فَارِسًا، فَأَرَادَهُ أَصْحَابُهُ عَلَى الْهُزْيَةِ، فَأَبَى وَثَبَّتَ، حَتَّى
أَثْخَنَ بِالْجَرَاجِ وَأُسْرَهُ» وَقَدْ ذَكَرَ بِشِعرِهِ، أَنَّ نَصْلًا أَصَابَهُ فِي
فَخْدَهُ، فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْمَعرِكَةِ، فَقَالَ:

وَقَدْ عَرَفْتُ وَقْعَ الْمَسَامِيرِ مَهْجِتِي
وَشُقِّقَ عَنْ زَرْقِ النَّصْوَلِ إِهَابِي

فَنَقلَ جَرِيحاً إِلَى خَرْشَنَةَ، فَقَالَ مَعْزِيَا نَفْسَهُ:
إِنْ زَرْتُ خَرْشَنَةَ أَسِيرًا
فَلَقِدْ حَلَّتْ بِهَا مَغِيرَا
وَلَقِدْ رَأَيْتُ النَّارَ تَنْتَهِي
بِ الْمَنَازِلِ وَالْقَصُورَا
وَلَقِدْ رَأَيْتُ السَّبْيَ يَجْدِي
بِ نَحْوِنَا حُواً وَحُورَا
إِنْ طَالَ لِبِيلِي فِي ذَرَاكِ
لَقَدْ نَفَمْتَ بِهِ قَصِيرَا
صَبِرَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحُ
هَذِهِ^(۱) فَتْحًا يَسِيرَا

(۱) إِشَارَةٌ إِلَى قَلْمَعَةِ خَرْشَنَةِ.

من كان مثل لي لم يبت
إلا أسيرا أو أميرا

وبعد هذا تبدأ حرب من نوع آخر بين الروم وسيف الدولة. هي الحرب الباردة. ويبداً العرض على الأصابع، من أجل أن يسترد كل فريق أسراءه. وكان أبو فراس كبش المحرقة في هذه الحرب، كما كان في المعركة التي جرح فيها وأسر. وعرض الروم على الشاعر حريةته، لقاء حرية أخي القائد - البطريق بودرس -. وهو بين يدي سيف الدولة منذ العام ٣٤٣ هـ. قال ابن خالويه: «كان هذا الأسير البيزنطي في أسر سيف الدولة منذ موقعة الحدث، فطلب القائد من أبي فراس أن يدفع فداءه، أو أن يسعى في إخراج أخيه. ولجزع الشاعر من الأسر كتب إلى سيف الدولة بذلك في أولى رومياته سنة ٣٥١ هـ ٩٦٢ م، ويطلب منه أن يفديه، وينهي عذابه.

دعوتك للجفن القرير المسهد
لدي، وللنوم القليل المشرد

ويخبره في هذه القصيدة عن رغبة ملك الروم في إطلاق سراحه، لقاء إطلاق سراح ابن أخت الملك - بودرس. على أن صاحب حلب ادعى أنه يرغب في افتداء أسرى

ال المسلمين دفعه واحدة وعامل الروم أبي فراس، معاملة حسنة في باديء الأمر، لاعتقادهم أن سيف الدولة سيفندي ابن عمه ويطلق أسيرهم. وبلغ الشاعر وهو في سجنه أن الروم قالوا: «ما أسرنا أحداً لم نسلب ثيابه وسلاحه، غير أبي فراس» فأثر وثار، وقال في أشهر قصائده التي كتبها في الأسر:

يُمنونَ أَنْ أَخْلُوا ثِيَابِيِّ، إِنَّمَا
عَلَيِّ ثِيَابٌ مِّنْ دَمَائِهِمْ حُمْرٌ
وَقَائِمْ سَيْفٍ فِيهِمْ اندُقْ نَصْلٌ
وَأَعْقَابْ رَمْحٍ فِيهِمْ حَطْمَ الصَّدْرِ

وهذه الرومية وإن خلت من طلب الفداء، فإنها لم تخل من الشكوى والتشكي. والافتخار البارع، والنسب الرقيق. وفيها نفس أبي فراس القوية. وبعدها تبدأ مرحلة جديدة من حياة الشاعر، ويبدا اتصاله بأمه بعد ثقل الجراح عليه سواء كانت نفسية أم جسدية. حيث الجراح الدامية والألام الموجعة، وال ساعات الثقيلة، والليالي المرّة، داعياً إياها إلى الصبر وإلى طلب الشفاعة عند سيف الدولة.

مَصَابِيْ جَلِيلٌ وَالْعَزَاءِ جَمِيلٌ
وَظَنَنِي بِأَنَّ اللَّهَ سُوفَ يَدِيلُ

والملاحظ في الروميات أنها بنت الألم و نتيجته . وهذا شيء طبيعي لدى إنسان متعلق بالأمية ، حتى أصبح أثراها في نفسه قوية . وأثره في نفسها أقوى حتى وافتها المنية . ويكتب إليها مرة ثانية . ويوصيها بالصبر ، وأنه لو لاها لما طلب الفداء ، ولما خاف الموت . يقول الشاعري «بلغ أبا فراس أن والدته قصدت سيف الدولة في منبع تكلمه في المفادة ، وتتضرع إليه فلم يكن عنده ما رجت من حسن الایجاب . لا بل رأى أن يعامل أسرى الروم لديه بالقسوة ، فلقي أسرى العرب عند الروم من جراء ذلك - وأبو فراس منهم - المعاملة نفسها ». وفي ذلك يقول ابن خالويه : «ووافق ذلك أن البطارقة قيدوا بحلب ، فقيد أبو فراس بخرشة» .

ورأت أنسولدة الأمير قد عظم ، فاعتلت من الحسرة ، فبلغ ذلك أبا فراس ، فكتب إلى سيف الدولة بهاته الشهيرة .

بـ حـسـرـةـ مـاـ أـكـادـ أـحـمـلـهـاـ
أـخـرـهـاـ مـزـعـجـ وـأـولـهـاـ

وحاول الشاعر الكثير لحمل سيف الدولة على افتدائه . لكن الأمير بقي مصم الأذان وعلى قسوته . وتغلغل الداء في جسد الأم المنتظرة الصابرة ، حتى أودى بحياتها . فرثاها ابنها الأسير بأبيات فيها الفاجعة ، والنغم الحزين :

أبا أم الأسير سقاكِ غيث
 بكره منك ما لقيَ الأسيرُ
 وقد دفَتِ المنايا والرزايا
 ولا ولد لديك ولا عشيرٌ

وعندما أيقن الشاعر أن سيف الدولة يماطل في افتائه.
 أرسل إليه طالب منه أن يراسل أهل خراسان. وفي هذا يقول
 التعاليبي: «كتب أبو فراس إلى سيف الدولة يقول: مفاداتي
 إن تعذرتك عليك، فأذن لي في مكتبة أهل خراسان،
 ومراسلكم ليفادوني، وينبوا عنك في أمري. فأجابه سيف
 الدولة: ومن يعرفك بخراسان. فالم شاعر نسبته إلى
 الخمول، فكتب إليه:

فلا تسبنَ إلىَّ الخمولَ
 عليك أقمت فلم أغتربَ
 وأصبحت منك فإنْ كانَ فضلُ
 وإنْ كانَ نقصُ فأنت السببُ

وذكر ابن خالويه هذه الحادثة أيضاً، فقال: «تأخرت كتب
 سيف الدولة عن أبي فراس وهو في الأسر، وذلك أنه بلغه أن
 بعض الأسرى قال: إن ثقل هذا المال على الأمير، كاتبنا فيه
 صاحب خراسان، وغيره من الملوك، فاتهم سيف الدولة أبا

فراص بهذا القول لضمانيه العال للروم وقال: أين يعرفه أهل خراسان».

وبقي الشاعر في الأسر حتى اليوم الأول من رجب ٣٥٥ هـ حزيران ٩٦٦ م، إذ خرج أبو فراص بثلاثة آلاف أسير إلى خوشة - كما يقول أحد المؤرخين - ووصل إليها سيف الدولة بأسراه، فدفع ستمائة ألف دينار رومية، وتم الفداء، بعد أربع سنوات من أسر الشاعر وعداته. وبعد هذه الفترة مرض سيف الدولة، واشتدت آلامه، وبدأ نجم دولته بالأفول والانحدار، وتناسى ما بينه وبين الشاعر من كتب سوداء، فولاه حمص. لكن القدر كان بالمرصاد للأمير، ولم يمهله طويلاً، وأغتصب عينيه سنة ٩٦٧ م. صفر ٣٥٦ هـ. وكان أبو المعالي صغيراً عند موت والده، لذلك جعل سيف الدولة الوصاية عليه، لغلامه التركي - فرغويه -. وحاول أبو فراص أن يستولي على الملك، الذي بدأ يتهاوى. ولكنه سقط قتيلاً عند اشتباكه مع فرغويه في معركة قرب صدد. وكان ذلك في ٤ نيسان من عام ٩٦٨ - جمادى الأول ٣٥٧ هـ.

وروى ابن خالويه شعراً له. قاله عند موته يخاطب به إبنته امرأة أبي العشائر الحمداني :

أُبَنِيَّتِي لَا تجْرِيَّ
 كُلَّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ
 نُوْحِي عَلَيْ بِحَسْرَةٍ
 مِنْ خَلْفِ سَتْرَكَ وَالْحِجَابِ
 قَوْلِي إِذَا كَلَمْتَنِي
 وَعَيَّبْتَ عَنْ رَدِّ الْجَوابِ
 زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فَرَاسُ
 لَمْ يَمْتَعْ بِالشَّبَابِ
 وَكَلْمَةُ حَقٍّ تَقَالُ أَنْ أَبَا فَرَاسَ كَانَ يَمْثُلُ الْفَتْوَةَ الْعَرَبِيَّةَ
 الْعَرِيقَةَ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَلْوَانِهَا. فَمِنْ حَزْمٍ وَشَجَاعَةٍ وَجَرَأَةً، إِلَى
 وَقَارٍ وَعَفَّةٍ وَذَكَاءً. أَضَفْ إِلَى ذَلِكَ الْخَلْفَ الْكَرِيمَ، وَالْتَّرْفَعَ
 عَنِ الدُّنْيَا. وَلَا شُكَّ أَنَّ الْفَرُوشِيَّةَ تَبَقَّى فِي طَلِيعَةِ الْمَزاِيَا
 الْحَمِيلَةِ عَنْهُ. وَقَدْ ذَكَرَهَا فِي مَوْاقِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ قَصَائِدِهِ.
 رَأَيَ النَّقَادُ فِيهِ:

تَشَعَّبَتِ الْأَرَاءُ، وَكَثُرَتِ الْأَقْوَالُ فِيهِ. وَجَعَلَهُ بَعْضُ النَّقَادِ
 فِي الْمَقَامِ الرَّفِيعِ بَيْنَ الشِّعَارِ. قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ:
 «بَدِيءٌ لِلشَّغَفِ بِمَلْكٍ وَخَتِيمٌ بِمَلْكٍ». يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ، وَأَبَا
 فَرَاسَ. وَقَالَ التَّعَالَيْيِ فِي يَتِيمَةِ الْدَّهْرِ: «وَشَعْرُهُ مَشْهُورٌ وَسَائِرٌ
 بَيْنَ الْحَسْنِ وَالْجُودَةِ، وَالسَّهُولَةِ وَالْجَزَالَةِ، وَالْعَذُوبَةِ
 وَالْفَخَامَةِ، وَالْحَلاَوةِ وَالْمَتَانَةِ، وَمَعَهُ رَوَاءُ الْطَّبِيعِ، وَسَمَّةُ

الظرف، وعزه الملك. ولم تجتمع هذه الحال قبله إلا في
شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل
الصنعة ونَقْدَة الكلام».

وقال ابن رشيق: «أما أبو الطيب المتنبي فلم يذكر معه
شاور إلا أبو فراس وحده. ولو لا مكانه من السلطان لاختاه».
وقال ابن شرف القيرواني في الروميات: «وأما أبو فراس
ابن حمدان ففارس هذا الميدان... فله الفخريةات التي لا
تعارض، والأسريةات التي لا تناهض».

وكان أبو فراس يعرف قيمة شعره، وشدة أسره. وإن هذا
افتخر به. وشبه شعره وقصائده باللؤلؤ والزبرجد. ولكنه بقي
دون مستوى المتنبي، ولهذا ترفع المتنبي عن مدحه، لا سيما
والحمدانيون غير راغبين في ذلك. لما كان بينهم وبين أبي
فراس من كره وضغينة. «ديوان المتنبي فيه الكثير من
التعریض بشعراً، البلاط الحمداني. ولا يبكي فراس نصيبي وافر
فيه. وللإنصاف نقول أن عاشرة أبو فراس فاقت المتنبي، إلا
أن المتنبي فاقه عبقرية. ولا تستغرب هذا. فأبا فراس نفسه
نفى عن نفسه صفة الشاعرية بقوله: «وما أنا مداح ولا أنا
شاعر». وما نظممه كان صدى لعاطفته، وإنه لم يتخذ الشعر
حرفة أو صناعة. وهذا لم يمنعه من مجازاة الشعراء والتعرض
لهم، كما يقول: «وإنني متعرض في الشعر للشعراء».

الفخر والمدح

كان شعر المديع في الجاهلية مجموعة من الفضائل الإنسانية التي لا تجري عليها أحكام التغيير والتعديل، وقد أحصاها قدامة بن جعفر، فوجد أنها تنحصر في أربع فضائل هي: العقل والعفة والعدل والشجاعة. وهذه الفضائل استمرت من غير شك في شعر المديع العربي في العصور المختلفة، ولكن دخلتها تفريعات كثيرة وزيادات متنوعة منذ ظهور الإسلام. فابن رشيق يلاحظ «أن فضيلة العقل قد تفرعت إلى أنواع منها: ثقافة المعرفة، والحياة وغير ذلك. أما الشجاعة فقد دخلت فيها: الحماية، والأخذ بالثار، والدفع عن الجار، والنكأة في العدو، وقتل الأقران والمهابة، والسير في المهمامة والقفار الموحشة، وما شاكل ذلك. وأما العدل فقد أصبحت فيه: السماحة، والتغابن، والانظام، والتبرع بالنائل، والإجابة للسائل، وقرى الأضياف، وما جانس هذه الأشياء».

والفخر يشبه المديع إلى حد كبير. وفيه يبرز الشاعر فضائله، ومكارم قومه، وقوتهم وبأسهم. وتتلافق فيه الذات الفردية، مع الآنا الجماعية. حتى ليبدو الفخر والمديع موضوعاً واحداً.

إلا أننا نقف أولاً عند النحر لدى أبي فرمان . وفيه تتجسد
معاني الجماعة من قبيلة أو عشيرة ، من حيث قوتها ومنعتها ،
وعزة أهلها :

أَلَمْ ترَنَا أَعْزَّ النَّاسِ جَارِاً
وَأَمْرَعُهُمْ وَأَمْنَعُهُمْ جَنَاباً^(١)
لَنَا الْجَبَلُ الْمُطْلَّ عَلَى نَزَارٍ
حَلَّلَنَا النَّجَدُ مِنْهُ وَالْهَضَابُ^(٢)
وَقَدْ عَلِمْتُ رَبِيعَةَ بْلَ نَزَارٍ
بَأْنَا الرَّأْسُ وَالنَّاسُ الذَّنَابِيُّ^(٣)

ومن أقواله في الفخر، بذاته وأهله.

لَنَ الدُّنْيَا . فَمَا شَنَا حَلَالاً
لَسَاكِنَاهَا ، وَمَا شَنَا حَرَامٌ
وَيَسْفَدُ أَمْرِنَا فِي كُلِّ حَيٍّ
فِي دُنْيَاهُ وَيَقْصِيهِ الْكَلَامُ
لَيْسَ هَذَا فَقْطُ بَلْ إِنَّهُ يَنْأِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمَهُ وَأَنْسَابِهِمْ .
لَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فَإِنْ أَرْتَفَعُوا أَرْتَفِعُ ، وَإِنْ انْخَفَضُوا انْخَفِضُ .

(١) أمرعهم : أخصهم .

(٢) النجد : المكان المرتفع من الأرض . الهضاب : الوادحة هضبة . الجبل
المسيء .

(٣) ربعة وبر : من القبائل العربية .

وأهله أصحاب عز وقوة. وبأس ومكرمات.
 أنا أفضلُ عن أصحاب قومي بفضلي
 وأفخر حتى لا أرى مَنْ يفاخرُ
 لنا أَوْلَ في المكرماتِ، وآخرُ
 وباطنُ مَجْدٍ تغلبيٌّ، وظاهرُ
 وهل يَتَطْلُبُ العَزُّ الذي هو غائبُ
 ويتركُ ذَا العَزَّ الذي هو حاضرُ
 أنا العارثُ المختارُ من نسلٍ حارثٍ
 إذا لم يَسْدُ في القوم إلا الأخابيرُ^(١)

وبعد هذا الفخر بالحسب وأهله. يبرز الشاعر مآثر قومه،
 وهي كثيرة جداً. ويكون الانتماء إلى الأصول القديمة هدفاً
 من أهدافه. وهذا الانتماء لا بد له من مآثر وأيام وموقع،
 ومحطات في التاريخ القديم وال الحديث. وتلك المحطات
 التاريخية هي الانتصارات التي حققتها القبيلة مجتمعة على
 أعدائها.

وللحروب أسبابها، إذ أنهم لم يشنوا غارة، أو يخوضوا
 معركة من أجل السلب والنهب، بل من أجل الحق
 والمكرمات والفضائل.

(١) الحارث: هو الشاعر نفسه أي - العارث من سعيد - الأخابير:
الأفضل.

وإذا كان التاريخ ملهم الشعرا والمبدعين، فإن الشاعر هنا يستخدمه كأداة لإبراز منعهم وقوتهم منذ القدم. وإن جذورهم ضاربة في الماضي وما الحاضر إلا نتيجة لذلك الماضي. والرفعة والمكانة صفتان اتصفا بهما قديماً وحديثاً. وبهذا يركز على جدوده الأقدمين الذين زرعوا فكان الحاضر. والكرم صفة من صفاتهم، حتى غدوا مثلاً وعلماً يهتدى به الناس.

فجدي الذي لم العشيرة جودة
وقد طار فيها بالفرق طائر^(١)
نحمل قتلاماً، وسارق دياتها
خمول لـما جرت عليه الجرائر^(٢)
وذى مائة لولا جرئت دماؤهم
موارد سوت مالهن مصدر
وجدي الذي انتاش الديار وأهلها
وللدهر ناب فيهم وأظافر
ثلاثة أعوام يكابد محـلـها
أشـمـ، طـويـلـ السـاعـدـينـ عـرـاعـرـ

(١) يقول إن جده وحد العشيرة بكرمه وجوده.

(٢) دياتها: جمع دية وهي الفدية. حمول: صبور.

والكرم صفة متأنصة بأهله وقومه. فإذا كان جده على هذه الدرجة الكبيرة من الجود. فإنّ عمّه ورث ذلك الإرث، وحمله. ويقي وفياً لعادات اكتسبها عن أهله وأبائه. وهو الذي رفع عن الأعراب ضريبة كانوا يدفعونها قسراً لغيره.

أمّاطَ عن الأعرابِ ذُلَّ إِتَاوَةً

تساوى البوادي عندها والحواضر^(١)
وقد جمع جده إلى جانب الكرم، صفة الشجاعة
والمروءة. والنجد ومساعدة المحتججين. وبهذه الصفات
استطاع أن ينال المجد برغم وداعه جسده. فهو أسد هصور،
يدافع عن الثغور والمواقع من أجل الإسلام والمسلمين.
ويحارب الروم الطامعين بأرض الإسلام. وقد بني جده
- حمدون - سور ملطية - ليحمي البلاد والعباد.

وكيف ينالَ المجدُ والجسمُ وادعَ
وكيف يُحازُ الحمدُ والوفرُ وافرُ
أسا داء ثغر كأنْ أعيَا دوازها
وفي قلبِ ملكِ الرومِ داء مخامرُ
بني ثغراها الباقِي على الدهرِ ذِكْرُهُ
نتائجُ فيها السابقاتُ الضوامرُ^(٢)

(١) أمّاط: أبعد ورفع. الإناءة: الخراج.

(٢) يقول في هذا البيت أنّ بني حمدان أصحاب مather كثيرة منها. بناء حمدون لسور ملطية.

ولما ألمت بالديارين أزمة
جلالها وناب الموت بالموت كاشر^(١)

وصفات الكرم والجود، والقوة والشجاعة. تأصلت في
أعمامه. ومنهم سيف الدولة الذي بقي زمناً طويلاً يحارب
الروم، ويدافع عن الشغور ويقضي على ثورات الأعراب التي
لا مبدأ لها سوى الإغارة والسلب. وكان لأعمامه الباقيين أيام
مهمة في صنع تاريخ دولة بنى حمدان. وإنهم حجووا العلم
والقوة. والحنم والباس.

وهناك قصائد كثيرة يفخر فيها الشاعر بأعمامه، وبقومه.
فعمه كان قد قتل الوزير - العباس بن المعتضي -. وأذاق
أهلة كأس الحمام. وأذل تميماً بعد عزّ لها، لأنها بعثت
وطفت. وقمع ثورة - الشاري - الذي ثار ضد المعتضد.

وفي هذا يقول:

وعمي الذي أردى الوزير وفاتكـا
ومـا الفارسـ الفتـاكـ إـلاـ المجـاهـرـ^(٢)

(١) يقول ابن حده استطاع أن يتغلب على الأزمات بالرغم من الموت
المترافق به.

(٢) الوزير هو العباس بن المعتضي.

أذلٌ تَمِيمًا بَعْدَ عَزًّ وَطَالْمَا
أذلٌ بَنَا الْبَاغِي، وَغَرَّ الْمُجَاوِر^(١)
وَصَدَقَ فِي بَكْرٍ مَوَاعِيدَ ضَيْفِهِ
وَثَوَرَ بَابِنَ الْغَمْرِ وَالنَّقْعِ شَائِر^(٢)
وَأَقْبَلَ بِالشَّارِي يُقَادُ أَمَامَةً
وَلِلْقِيدِ فِي كُلَّتَا يَدِيهِ ضَفَائِر^(٣)
وَشَنَّ عَلَى ذِي الْخَالِ خِيلًا تَاهِبَتْ
سَمَاوَةً كَلْبٌ بَيْنَهَا وَعِرَاعِر^(٤)
وَإِنْ أَفْعَالَهُ لَمْ تَقْعُ عَلَى صَعِيدِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ تَعْدِي
الْأَطْرِ الْجَغْرَافِيَّةِ وَهَاجَمَ مَصْرَ، وَانْتَصَرَ، وَفَتَحَ تَلْكَ الدِّيَارَ.
وَأَجَلَتْ لَهُ فَتْحَ بَصْرَ سَحَابَتْ
مِنَ الطَّعْنِ سُقْيَاها الْمَنَابِ الْحَوَاضِر^(٥)
تَخَالَطَ فِيهَا الْجَحْفَلَانِ كَلَاهِمَا
فَغَيْرُ الْقَنَا عَنَّا وَنُبَيْنَ الْبَوَاتِر^(٦)

(١) الْبَاغِي: الظَّالِم.

(٢) ابْنُ الْغَمْرِ: هُوَ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ حَمْدَوْنَ. كَانَ قَدْ أَسْرَ ثَمَنَهُ ثُورٌ: نَادَى
بِالثَّارَانَهُ.

(٣) الشَّارِي: هُوَ هَارُونُ الشَّارِي الَّذِي ثَارَ عَنِ الْمُعْنَصِدِ.

(٤) ذُو الْخَالِ: هُرَمَهُ الْحَسِينُ بْنُ حَمْدَانَ فِي سُورِيَا.

(٥) الْمَنَابِ: الْمَوْتِ.

(٦) الْجَحْفَلَانِ: الْجَيْشَانِ الْكَبِيرَانِ.

وعلمه هذا له في كل مكان موقعة. وكأنه خلق للحرب فقط. إذ ان الشاعر يعدد المواقع والمعارك التي خاضها عمه، وانتصر فيها. وكان هذه القصيدة سجلً تاريخي يبين فيه الشاعر قوة قومه، وشدة بأسهم. وكان النصر بجانب عمه وقومه، لأنهم أصحاب حق ودين. وأعمامه هم حماة الملك وحماية الديار والعباد. وفي هذا يقول:

وعمي الذي سلَّت بنجد سيفونه
فرُوع بالغورين منْ هو غائر^(١)
وساق إلى ابن الديوداذ كتبة
لها لجُبُّ، من دونها وزماجر^(٢)
وعمي الذي سَمِّته قَيْنُ مُزْرَفَنَا
وقد شجرت فيه الرماحُ الشواجر^(٣)
وعمي الذي ذَلَّت حبيبٌ لسيفه
وكانت ومرعاهما من العَزَّ ناصر^(٤)
وعمي الحرون عند كل كتبة
تَجَفُّ جَبَالٌ، وهو الموت صابر^(٥)

(١) رَوْع: أخاف. الغورين: اسم مكان.

(٢) ابن الديوداذ: هو يوسف بن الديوداذ الخارج بأذربيجان.

(٣) مُزْرَفَن: سُمِّي كذلك لاختراقه الرماح يوم العقبة.

(٤) أي أن عمه تغلب على قبيلة حبيب، وذلت بعد عزها.

(٥) الحرون: لقب سليمان بن حمدان.

أوكك أعمامي ووالدي الذي
 حمى جنباتِ الملكِ والملكُ شاغرٌ
 غزا الرومَ لم يقصِّدْ جوانبَ غرَّةٍ
 ولا سبَقَتهُ بالمرادِ النذائرُ

إنه في هذه الأبيات يرسم صورة لعمه الحسين بن
 حمدان: ويتراءى لنا بأس هذا الرجل الذي حمل نفسه،
 وحارب في كل الأمكنة. فقد قتل العباس بن المعتضدي
 وحارب تميماً، وأسر هارون الشاري، وهزم - ذو الحال - في
 بلاد الشام. وفتح مصر، ومن هناك يصل إلى نجد في
 الحجاز، ويحارب في الغورين ويتنصر. ثم نراه في بلاد
 فارس ويتقاتل الخارجين هناك، ويدل فيها يوسف بن الديوداذ
 الخارج بأذربیجان. فعمه بهذه الصورة رجل كل المراحل،
 وفارس كل الأمكنة.

وإذا كان عمه الحسين بهذه الصورة من القوة والفتواة، فإنَّ
 سيف الدولة رجل حرب أيضاً. وهو فارس قادر، شجاع
 مغوار. إشارة منه تهيج الجيوش وكلمته مطاعة ونافذة عند
 الناس.

ولما ثار سيف الدين ثرنا
 كما هَيَّجَتْ آساداً غضاباً

أَسْنَتْهُ إِذَا لَاقَى طَعَانًا
 صَوَارُمَهُ، إِذَا لَاقَى ضَرَابًا^(١)
 دُعَانًا وَالْأَسْنَةَ مُشَرِّعَاتٍ
 فَكُنَا عَنْدَ دُعَوَتِهِ الْجَوَابًا^(٢)
 وَإِنَّ أَفْعَالَ سِيفِ الدُّولَةِ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْإِعْجَازَاتِ . وَجِيشُهُ
 يَنْطَلِقُ إِلَى الْحَرْبِ وَكَانَهُ سَهَامٌ . وَمَهْمَاهُ تَكُنُ الْحَوَاجِزُ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ عَدُوِّهِ، يَصْلِي إِلَيْهِ، يَحْارِبُ وَيَتَصَرُّ .
 وَكُنَا كَالسَّهَامِ إِذَا أَصَابَتْ
 مَرَامِيهَا فَرَامِيهَا أَصَابَا^(٣)
 عَبَرْنَا بِمَاسِحٍ وَاللَّيلُ طَفْلٌ
 وَجَئْنَ إِلَى سَلْمَيْهَا حِينَ تَابَا^(٤)
 فَلَمَّا اشْتَدَتِ الْهَيْجَاءُ كُنَا
 أَشَدَّ مَخَالِبًا، وَأَحَدَّ نَابَا^(٥)
 وَأَمْنَعَ جَانِبًا، وَأَعْزَّ جَارًا
 وَأَوْفَى ذَمَّةً، وَأَقْلَى عَابَا

(١) صوارمه: سيفون الفرات.

(٢) الأسنة: الرماح.

(٣) راميها: المقاتل الذي يرمي السهم أو الرمح فيصب.

(٤) الليل طفل: شبه بداية الليل بالطفل الصغير. سلمية: اسم مكان

(٥) الهيجة: المعركة. أشد مخالبا وأشد نابا: كتابة عن الشدة وقوه البأس.

ولا ينسى أبو فراس فخره بنفسه. فحياناً يكون فخره مع الجماعة، وأحياناً يكون فردياً. وذلك نشاهد في قوله:

أنا ابن الصاربين المهام قدمأ
إذا كرِّة المحامون الضربا

وفي قوله أيضاً:

الم تُخِبِّرْكَ خبلك عن مقامي
ببالس يوم ضاق بها المقام^(١)

بطحنا منهم مرج بن حجش
فلم يقفوا عليه ولم يحاموا^(٢)

أقول لمطعم لما التقينا
وقد ولئ وفي يدي الحسام

أجعل بيننا عشرين كعباً
وتهرب سوء لك يا غلام^(٣)

هذه بعض النماذج التي يختلط فيها الفخر الفردي مع الجماعة. وتكون العشيرة أو القبيلة هي المعنية بالقول، فالقوة قوتها، والنصر نصرها، والفرد فيها يمثل المجموع. والمجموع بمثابة فرد واحد.

(١) بالس: معركة خاضها أبو فراس وقاد الجيش بنفسه من منبع.

(٢) بطحنا: قتلنا: مرج بن جحش: قائد جيش الأعداء.

(٣) سوءة: عار.

أما فخره الفردي فيبرز بقوله:

خليلٌ أغراضي بعيد مَنْأَلُها
فهل فيكما عَوْنَ على ما أحاوْلُ^(١)
فمثلي من نال المعالي بنفيه
وربّما غالٰته عنها الغواصُ^(٢)
وما كُلُ طلاب من الناس بالغُ
ولا كُلُ سيَار إلى المجد واصلُ^(٣)
ويبدو بعد هذا أن للفخر جوانب مختلفة. تطال الفرد،
والجماعة. الأقرباء والعشيرة. وهذا ما رأيناها واضحاً في فخر
أبي فراس. حيث كان موزعاً بين عدة مواقف أهمها:

١ - الفخر الجماعي: وكان ذلك في قومه وعشيرته. وقد
جسد فيه معاني القوة والرفة. والقدرة والمنعة.
٢ - فخر بالأقرباء: وهم أعمام الشاعر، القادة الأقرباء
الذين خاضوا المعارك من أجل استباب الأمن. وهم الكرماء
الذين وهبوا الناس كثيراً. وساعدوا المحجاجين في أيام
الشدة.

(١) أغراضي: أهدافي.

(٢) الغواص: الشدائد، المصائب.

(٣) بالغ: واصل. سيار: المجد السير. المجد: الرفة.

٣ - الفخر بسيف الدولة: وهو من الأقرباء المقربين، إلا أن الفخر فيه برب في أكثر من قصيدة: فهو العادل، والعالم، والأسد الهمصور. والمدافع عن الثغور والمواقع.

٤ - الفخر بالذات: حيث أوقفه الشاعر على نفسه. ووصفها بأجمل الأوصاف منها الرفعة والعزة. والكبرياء والعظمة.

الأخوانيات

وأبو فراس واحد من المفجوعين بأهله وأصدقائه، يهمي
دموع عينيه وفاءً لمن يحب. ويشكو من الدهر المتسلط
اليوم، ويتوقع أن يشکوه غداً، لأن تسلطه لا يكفي عنه.
لذلك يتلتفت إلى الإنسان في نفسه، ويحاوره في الواقع
الفاجعي مناجياً وشاكيّاً.

وتبدو المناجاة في الأرق والسهر، في الألم والعذاب، في
الحياة القاسية التي يعيشها الشاعر، وقد عايش قساوة الحياة
منذ الطفولة، ولم تفارقه الصعاب لحظة من لحظات حياته.
وفي أخوانياته يتجلّى الصدق والوفاء، والحب والوداد
الذي يكتبه لأخوه لأنهم ساعدوه وغضدوه. فهو يأنس
بحضورهم، ويتعرّض بغيابهم.

والواقع أن قصائد الأخوانيات لم تكن ذات موضوع
واحد، بل تعددت أغراضها وكثرت. وأهم الأغراض التي
نلاحظها فيها هي :

١ - المطلع الغزلي : وفيه يبيّث الشاعر آلامه. تلك التي
سببها له حبّيّة، سرق خيالها النوم من عينيه، وأبقاءه في أرق
 دائم، واضطراب مستمر.

نفِي النَّوْمُ مِنْ عَيْنِي خِيَالٌ مُسْلِمٌ
 تَأْوِبٌ مِنْ أَسْمَاءٍ، وَالرَّكِبُ نَوْمٌ^(١)
 ظَلَّلَتْ وَأَصْحَابِي عِبَادِيدٌ فِي الدَّجَى
 الْدُّجُوْلُ جَوَالٌ الْوَشَاحُ، وَأَنْفُمُ^(٢)
 وَسَائِلَةٌ عَنِي فَقَلَّتْ، تَعْجِبَا
 كَأْنَكُمْ لَا تَدْرِيُنِي كَيْفَ الْمَتَّيْمُ^(٣)
 ٢ - العَسْرَةُ وَالْأَلْمُ: وَيَتَجَلىُ ذَلِكُ فِي الصَّرْخَةِ التِّي
 يَوْجَهُهَا إِلَى أَخِيهِ الْمَتَوْفِيِّ. إِذْ يَحْمِلُ فِيهَا شَحَنَاتٍ نَفْسِهِ فِيهَا
 الْأَلْمُ وَالْمَرَّةُ. وَكَيْفَ لَا يَكُونُ حَزِينًا وَنَوَابِ الْزَّمْنِ لَمْ تَرُكْ
 فَلَذَّةٌ مِنْ كَبَدِهِ إِلَّا وَرَمَتْهَا بِسَهْمٍ. وَالْحَزَنُ مُولَدُ الْكَابَةِ، وَالْكَابَةِ
 جَالِبَةُ الدَّمْوعِ.

أَلَا مِنْ مَبْلُغٍ عَنِي الْحَسَبِ الْوَكَةُ
 تَضَمَّنَهَا دَرُ الْكَلَامِ الْمَنْظُمُ^(٤)
 وَأَتَرَكْ أَنْ أَبْكِي عَلَيْكَ تَسْطِيرًا
 وَقَلْبِي يَبْكِي وَالْجَوَانِحُ تَلْطِيمٌ^(٥)
لَكُنْ بَكَاءَهُ لِسْنَ كَبَاءَ الْآخَرِينَ، إِنَّهُ بَكَاءً دَاخِلِيَّ، فِي

(١) تَأْوِبٌ: عَادَ، رَجَعَ.

(٢) عِبَادِيدٌ: فُرُقٌ مِنَ النَّاسِ. جَوَالٌ الْوَشَاحُ: نَاعِمَةُ الْخَصْرِ رِفَيْفَةٌ.

(٣) الْمَتَّيْمُ: الْعَاشِقُ الْوَهَانُ

(٤) الْحَسَبِ: أَنْ الشَّاعِرُ الْأَلْوَاهُ: الرِّسَالَةُ، وَجَمِيعُهَا إِلَاهٌ

(٥) تَسْطِيرًا: تَشَاؤْمًا.

القلب والضمير. إنه يخشى من انهمار دموعه خوفاً من شماتة الأعداء، فنراه يكتم الحزن ويتجلد ويتصرّب، مثلما تصبر غيره من الناس أمام العوادث الكبيرة أمثال لبيد، وكليب ومالك.

وأظهر للأعداء فيك جلادة

واكتم ما ألقاه والله يعلم^(١)

وحكمي بكاء الدهر فيما ينوبني
 وحكم لبيد في حول مجرم^(٢)
 وما نحن إلا وائل مهلهل
 صفاء، وإلا مالك ومستمم^(٣)

٣ - **الحكمة:** وهي مذهب في الشعر، ينظم فيه صاحبه بتأثير نظرة فلسفية للكون وحقائق الأشياء. وغاية ما يقاضي في هذا النوع من الشعر إنه ضرب من النظم الذهني، فيه ناحية تعليمية عظيمة القيمة، ولكنه ليس بالشعر الذي يكون الشعور مداره، والعاطفة أساساً له. وقد صدق ابن رشيق حين قال: «فلا يجب أن يكون الشعر مثلاً كلّه وحكمة لأنّه يقعد صاحبه عن أصحابه لما فيه من صنعة وإكثار من ذلك». يعني هذا أن **الشاعر يجب أن يطرق موضوعات العاطفة والشعور لأنّه**

(١) **جلادة:** قوة، وصبر. **اكتم:** أخفى.

(٢) **لبيد:** شاعر جاهلي يكتفي أخاه ستة كاملة.

(٣) **وائل - كلب - مهلهل:** أحواه وقد بكاه في شعره. **ملك:** هو مالك بن نويره. **منمم:** أحواه.

عليهمما يبني الشعر. وإذا كانت الحكمة فتكون في موقف لا تتعدها إلى بقية أغراض الشعر. وفي هذا يقول أبو فراس:

تصاحبنا الأيامُ في ثوب ناصحٍ
ويختلنا منها، على الأمان أرقَمُ^(١)

وما أغربتْ فيك النسالي وإنها
لتصدعنَا من كُلِّ شعبٍ وتشلمُ^(٢)

٤ - الفخر: من الأغراض المهمة والكثيرة في الشعر العربي. وفي هذا الباب من - الأخوانيات - نلاحظ أن الفخر يقسم إلى قسمين:

أ - فخر شخصي: حيث يفخر الشاعر ب أخيه أو بنفسه. إذ يقول أبو فراس في أخيه أبو العشائر حين سره

أبا العشائر، إنْ أسرتْ فضنَّ
أنسرتْ لكَ لبيضَ الخفافِ جـ(٣)

لما أجلتَ المهرَ فوقَ رؤوسِهِ
نسجْتُ لهُ حُمرَ الثبورِ عـ(٤)

(١) الأرقَم: ذكر الحيات وأختها.

(٢) تصدعنا: تبعثرنا.

(٣) أبو العشائر: هو الحسين بن حمود، أبو الشاعر، قد قد أسر لدى الروم.

(٤) المهر: وند الحصان. الثبور: مفردتها ثبور، يعني لم يرى

ومن فخره بنفسه قوله لأخيه:

أَلَا دعوت أخاك وهو مصايبُ

يكتفي العظيم ويدفعُ الأهوالا

أَلَا دعوت أبا فراس إله

ممن إذا طلب الممتنع نالا

ب - الفخر الجماعي: وفيه يذوب الفرد بالقبيلة

والعشيرة. فيصير واحداً منها، انتصاره انتصارها، وهزيمته

هزيمتها. ومن هذا قوله:

ونحن أئاسٌ لا تزال سرائنا

لها مشربٌ، بين المنابع ومصطدمٌ

وأرماحنا في كل لبَّ فارسٍ

تُثقبُ ثقبَ الجنانِ وتنظمُ

سنضريهم ما دام للسيف قائمٌ

ونطعنهم ما دام للرمي لهم

هذا ما تنطوي عليه - الأخوانيات - من أغراض

وموضوعات. قالها الشاعر في وقت الفقد. وحاول أن

يتراجع الإنسان الكامن فيه ويذكر موقع القوة والباس فرداً

كان أم جماعة.

الغزل

وله في الغزل مقام رفيع، وموقع يحسده عليه أترابه وأصحابه. حتى إنه فاق وتفوق على كثير من الشعراء في هذا المجال، وأصبح صاحب مدرسة في الغزل، وجانب التشبيب اللاأخلاقي. وكل ما عنده غزل عفيف، تحمله إلينا صهوة كلمات ملونة بنفس ظاهرة، وشعور يلفه الحزن، وأحاسيس دفينة فيها الكثير من الكآبة والحزن.

والغزل موضوع قديم في الشعر العربي إذ لا يخلو هذا الباب من ديوان شاعر، ولم يتتجنب شاعر من الشعراء القول فيه. وهو من أجمل ما تفيض به النفس البشرية، إنه ألوان الذات المعدبة، والنفس التواقة للقاء حبيب، وربما يكون هذا الحبيب مثلاً، صورة، حلمًا، تكمن داخل الشاعر، تففيض تلها، وأرقاً وانتظاراً. وتترصد الزمن وتعتب عليه، لأنه فرق بين المعحبين، وباعد الأمكنة بينهم. وكلما كانت صورة المثال راقية، مصقوله في نفس الشاعر، كلما كانت عطاءاته أفضل وأجمل.

ومهما حاولنا التكلم عن هذا الموضوع، فإنه باختصار،

صورة المرأة، المرأة المثال، ذلك الكائن المتحرك المتجدد في نبض الإنسان. والمرأة بتجددها الدائم، رمز من رموز الحياة، والديسومة في الوجود فهي الإنسنة، والأنس، والمؤانسة. وهي كيمياء الأرض، وزهر الربيع، وهي الوطن، والشعب، والأمة. وهي التغيير الدائم في الأساليب والمضممين، وإنها الاستمرار، والمستقبل، والأمل والتفاؤل. وتتجسد هذه المفاهيم والمضممين في الغزل، ولكل شاعر أسلوبه وقاموسه اللغوي الذي يجسّد به تلك المفاهيم. ولا تخف على ما بناء إلا من خلال القصائد التي سنعرضها في هذا الفصل، من شعر أبي فراس في موضوع الغزل..

الحب ميل فطري في النفس البشرية، ووصف المحبوبة والتغنى بها إحساس تلقائي. وقد تطور هذا الفن، وتغيرت صوره وأساليبه. ولهذا يشير شوقي ضيف بقوله: «إن الشاعر كان يقصد في القطعة التي يعالجها إلى تصوير حبه وما يلقى فيه من وصب وعذاب، وبذلك كان تعزله معنوياً أكثر من النسب القديم، فالشاعر يعني بحكاية خواطره، وقلما عنّي بوصف المرأة وصفاً حسياً».

وهذا ما نراه في غزل أبي فراس، الذي أوقف حياته على الحزن والألم، وذلك من ثُر سهم أتى صدره، وأصابه.

والسهم هو نظره الحبيبة التي أوقعته في غنج الحاظها الفاتنة.
ورمته في داء لا شفاء منه.

وَقَفْتُنِي عَلَى الْأَسَى وَالنَّحِيبِ
مُقْلَّتاً ذَلِكَ الْغَرَازِ الرَّبِيبِ^(١)
كُلُّمَا عَادَنِي السُّلُوُّ رَمَانِي
غَنْجُ الْحَاظِي بِسَهْمِ مَصْبِيبِ
فَاتِرَاتِ، قَوَاتِلُ، فَاتِنَاتِ
فَاتِكَاتِ سَهَامِهَا فِي الْقُلُوبِ
هَلْ لِصَبُّ مُتَئِّمٍ مِنْ مُعَيْنِ؟
وَلَدَاءُ مُخَامِرٍ مِنْ طَبِيبِ^(٢)
ويتذلل الشاعر ويتودد إلى حبيبه، بكلمات رقيقة، فيها
العفة والطهارة حتى في وصفه المادي لجسدها وفمهما وقدها.
كُنْ كَمَا شَبَّتْ مِنْ وَصَالٍ وَهَجَرِ
غَيْرُ قَلْبِي عَلَيْكَ غَيْرُ كَيْبِ
لَكَ جَسْمُ الْهَوَى وَثَغَرُ الْأَفَاحِي
وَنَسْبُمُ الصَّبَا وَقَدُّ الْقَضِيبِ^(٣)

(١) الأسى: الحزد. النحيب: البكاء.

(٢) الصب: المحب، المشتاق.

(٣) ثغر: فم.

والمحب الولهان يعيش مع الألم والدموع . لأن البكاء في مثل هذه المواقف راحة من ألم . ويکابد الشوق ، إذ يعتبر هذه المکابدة جهاد من أجل الحبیة .

يَا خَلِيلَى، خَلِيَانِى وَدَمْعِى
إِنَّ فِي الدَّمْعِ رَاحَةً الْمُكَرُوبِ
مَا تَقْوِلَانِ فِي جَهَادِ مُحَبٍّ
وَقَفَ الْقَلْبُ فِي سَبِيلِ الْحَبِيبِ

ونكون اللوعة في موقف الرحيل ، حين يحمل الحبيب نفسه ويبعد عن حبيبه . والحبیة التي يکبها الشاعر ذکية فطنة . ولهذا يهدیها خالص الود ، وصادق الوعد . ويقول إنه محافظ على ما بينهما من وعود .

خَالِصُ الْوَدُّ صَادِقُ الْوَعْدِ أَنْسِي
فِي حُضُورِي مُحَافِظٌ فِي مَغِيَّبِي
وَلَا يَنْسِي أَلْمَهُ وَحِيرَتَهُ ، وَمَا تَهْدِيهِ إِلَيْهِ مِنْ عَذَابٍ مَزْهَرٌ
كَالرِّيَاضَةِ الْجَمِيلَةِ «جَادَهَا فَكَرَهَ بَغِيَّتْ سَكُوب» . وقد وردت
ذلك المعانی إليه بكل أنس وحسن وطيب .

كُلُّ يَوْمٍ يَهْدِي إِلَيَّ رِيَاضَةَ
جَادَهَا فَكَرَهَ بَغِيَّتْ سَكُوبِ

واردات بكلّ أنسٍ وبرّ
 وافتادت بكلّ حسنٍ وطيبٍ
 إنَّ الرقة في الغزل صفة ملازمة له. لأنَّه يحمل في ثناياه
 طبيعة النفس البشرية وأحساسها وانفعالاتها الشفافة. إنه لغة
 الروح الهائمة في عالم الوجود والوله.

وأبو فراس هنا معدب مهموم، لأنَّه يحاكي الكون بطبيعة
 الروح المعدبة، والأرق والشهاد. وسبب ذلك طيف الحببية
 الذي طرق بابه في ليل داج، وانتصب أمامه، وعذب حياته.
 لقد سرق النوم من بين أجنفاته، وتركه وحيداً يتقلب على
 جمر الانتظار. وهنا تكمن الحيرة ويتجدد الأسى عند
 الشاعر، ويأخذه الصراع في اتجاهين: الواجب والحب،
 والأمر والنهي. فالحب يأمره، وعفة النفس تزجره. ويبقى بين
 النقيضين معزقاً هائماً، إلى أن يعلل نفسه بالصبر، لعلَّ
 الفرج يأتيه ويحلُّ له المشكلات.

كيف السبيل إلى طيف يُزاورهُ
 والنوم، في جملة الأحباب هاجرَهُ^(١)
 الحبُّ أمره والصونُ زاجرَهُ
 والصبرُ أولُ ما تأتي أواخرَهُ^(٢)

(١) السبيل: الطريق. طيف: خيال.

(٢) زاجر: رادعه، مانعه.

أنا الذي إن صبا أو شفه غزل
فللعفاف وللتقوى مازره

وبالرغم من حالته التي أشرنا إليها، فإنه يبقى وفياً للحب
وللمحبين بشكل عام إذ أنه يعتبر أهل الحب من أشرف
الناس وأنبئهم، وأفضلهم مكانة.

وأشرف الناس أهل الحب منزلة
وأشرف الحب ما عفت سرائره^(١)

إنه في حالة من الأرق والسهر. حتى يظن أن الليل طال
وتطاول، ولا تنتهي ظلمته الخارجية، التي عكست حالها
على نفسه، وجعلتها في ظلمة وكآبة وحزن. والليل عنيد
وكثيف، لا يتزحزح ولا يحيد. جمدة في مكانه حتى ألهب
الذات وأوجع الفؤاد. والأرق يحمل التعب الجسدي
والنفسي، وحينها لا ينفع صبر ولا تجلد. ولا بد من الانهيار
تحت وطأة الأحداث المتعية والمهملقة، ويكون الدمع والبكاء
وسيلة الضعيف في ليل مظلم، ونفس سوداء.

ما بال ليلى لا تسرى كواكب
وطيف عزه لا يعتاد زائره

(١) سرائره: دخله، وجدانه.

مَنْ لَا يَنْامُ فَلَا صَبَرٌ يَؤَازِرُهُ
 وَلَا خَيَالٌ عَلَى شَخْطٍ يَزَوِّرُهُ
 يَا سَاهِرًا لَعْبَتْ أَيْدِي الْفَرَاقَ بِهِ
 فَالصَّبَرُ حَادِلٌ وَالدَّمْعُ نَاصِرٌ
 وَحَتَّى تَكْتُمَ صُورَةُ الْعَذَابِ، يَجْمِعُ أَبُو فَرَاسَ النَّقِيْضِينَ،
 وَالضَّدِّيْنَ فِي آنِ وَاحِدٍ. فَهُوَ مُؤْرَقٌ سَاهِرٌ، وَحَبِيبَتِهِ نَائِمَةٌ
 مِرْتَاحَةً الضَّمِيرِ وَالْوَجْدَانَ.

إِنَّ الْحَبِيبَ الَّذِي هَامَ الْفَرَادُ بِهِ
 يَنْأِمُ عَنْ طُولِ لَيْلٍ أَنْتَ سَاهِرٌ^(١)
 وَالَّذِي يَزِيدُ التَّهَابَ الشَّوْقِ، عَدَمُ اسْتِطَاعَتِهِ نَسِيَانُ
 الْمَاضِيِّ، يَوْمُ وَداعِ الْأَحْبَةِ، حِيثُ اخْتَلَطَتِ الدَّمْوعُ بِالشَّوْقِ
 وَالْمَحْبَةِ. وَبِكَلِمَاتِ الْحَبِيبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَخْشِي لَحْظَةَ الْوَداعِ
 وَالْفَرَاقِ.

مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يَوْمَ الْبَيْنِ مُرْفَقُنَا
 وَالشَّوْقُ يَنْهَا الْبَكَا عَنِّي وَيَأْمُرُهُ
 وَقُولُهَا وَدَمْوعُ الْعَيْنِ وَاكْفَةُ
 هَذَا الْفَرَاقُ الَّذِي كَانَ نَحَاذِرُهُ^(٢)

(١) هَامَ: مِنْ هَيَامٍ وَهُوَ شَدَّدَ الْحَتْ وَالْوَلَهْ.

(٢) وَاكْفَةُ: نَازِلَةٌ، سَانِلَةٌ.

ويتساءل في ليله الكثيب عمن يخبره عنها. وقد ابتعدت
ورحلت. ولا يجد أمامه سوى الحادي. فيحمله السلام
والأسوق، وكل ما في الصدر من حب وهيام. ويوصيه أن
يدرك اسمه أمامها، ويسألها عن الوعد الذي كان بينهما لحظة
الفرق المزير.

هل أنت يا رفقة العشاق مُخبرتي
عن الخلط الذي زُمت أباعرٌ^(١)
وأنت يا راكباً يُرجي مطيّته
يُشتَّرِقُ الحَيَّ ليلاً أو يسَاكِرَة^(٢)
إذا وصلت فغَرْضُ بي وقل لهم
هَلْ وابْدُ الْوَعْدَ يَوْمَ الْبَيْنِ ذَاكِرَةٌ
ويتمنى الشاعر أن يحمل الحادي سلامه إليها، لأن بعادها
أوحش الدنيا في عينيه. وأصبح حبها عذاباً تمكن من نفسه
وأرهقه. لكنه بقي صافي السريرة واضح كالشمس.
هل أنت مُبليْهَ عَنِي بِأَنَّ لَهُ
وَذَا تَمَكَّنَ فِي قَلْبِي يَجَاوِرُهُ؟

(١) الخليط العثير، أباعر: الجمال، زمت أباعرة: كتابة عن الاستعداد للرحيل لأزمة ما.

(۲) بیوگرافی: یسوف.

وإني منْ صَفَتْ مِنْهُ سَرَايْرَةُ
وَضَعَّ بَاطِنَهُ مِنْهُ وَطَاهِرَةُ

ويركز الشاعر على حالة صفاء السرائر، والضمائر. وفي
هذا حكمه لأن الحسب والنسب لا يكفيان من أجل حياة
صحيحة وسليمة. بل الألفة والمحبة بين الناس، والصدق
في القول والفعل، وكل الصفات الإنسانية، هي التي تجعل
الإنسان أخًّا للإنسان.

وما أخْرُوكَ الَّذِي يَدْنُو بِهِ نَسْبٌ
لَكُنْ أخْرُوكَ الَّذِي تَضَعُّفُ ضَمَائِرُه

وله أيضاً^(*):

وَمُورَدٌ، لَمَّا اسْتَدَارَ عِذَارَةُ
بِبَدِيعِ تَوْرِيدٍ يَطِيرُ شَرَاوَهُ^(۱)
رَضْبُ الْأَنَامِلِ، لَوْ تَلَامِسَ كُفَّهُ
خَجْرًا لَأُورَقَ يَابِعًا أَشْمَارَهُ^(۲)

(*) المدبوان - ص ۲۰۳ - ۲۰۴

(۱) يقول ابن وجه الحبيبة مورد تختلط فيه الوان انحصاره والياض، وكأنه شرر يضرير لشدة جمانه وصفاته.

(۲) يقول إن أثامنها رطبة - وهي كتابة على نعومتها - لو لامست حررا، لازهر لحجر وأبعت الآثار من الشجر الياس.

للنظم نظم الدُّر سِمْطًا، ثَغْرَةً
 وبَهَارٌ رِيعَ الياسمين بِهَارَةَ^(١)
 حتى إذا غَبَتِ الْكَرَى بِجَفُونِهِ
 وَاحْمَرَّ خَدَاهُ، وَطَابَ خَمَارَهَ^(٢)
 وَسَدَنَةُ يُمْنَى يَذَئِي وَلَمْ يَزَلِ
 مِنْ تَحْتِ خَدِيَّ فِي الْوَسَادِ يَسَارَةَ
 وَجَعَلْتُ أَرْشَفَ فَضْلَ رِيقَةَ ثَغْرَهِ
 رَثْفَ الْمَيَاهِ إِذَا وَرَدَنَ عِشَارَهَ^(٣)
 نَازَعَتْهُ كَرْجِيَّهُ خَلِيَّهُ
 مَا مَسَّ وَكَفَ عَصِيرِهَا عَصَارَهَ^(٤)
 قَدْ طَالَ مَا اخْتَلَسَ الْقُلُوبَ بِمُقْلَهِ
 فَتَنَتْ، وَطَالَ جَذَارُهُ وَنَفَارَهُ
 يَصْفُ حَبِيبَهُ لَهُ، فَهِيَ مُورَدَةُ الْخَدِينِ حَتَّى أَصْبَحَتِ
 كَالنُورِ، يَشْعُ وَجْهَهَا لِبَهَائِهَا وَجَمَالِهَا، أَنَامَلَهَا جَمِيلَهُ رَطْبَهُ، لَوْ
 لَامَسَتِ بَهَا الْحَجَرُ يَتَفَجَّرُ يَنَابِيعُ حَيَاةٍ، وَالشَّجَرُ الْيَابِسُ يَوْرَقُ

(١) السِّمْطُ: القلادة. يصف أَسْنَانَ الْفَمِ إِذَا نَهَا مَنْظُومَةَ الدَّلَرِ. وَرِيعُ فَمِهَا كَانَهُ الياسمين.

(٢) الْكَرَى: النَّعَاصِ.

(٣) العِشَارَهُ: الشَّيْءُ، الْمَكْرُوهُ.

(٤) وَكَفُ: سَالٌ وَقَطْرٌ.

ويثمر. وثغرها جميل انتظمت فيه الأسنان بدقة وروعة.
ورائحة فمها كأنها الياسمين. ويندوب الشاعر في وصفه
ويتخيل التيه والغلو حتى مداعبة الكري أحفان الحبيب قيام
على يد الشاعر وهو كالسكران من الوله والحب والهياج. وفي
هذه الأثناء كان الشاعر يرشف ريق ثغرها، وهي التي
اختلست قلبها وسرقت لبها، بنظراتها الوالهة.
وقال أيضاً:

أخا عشرين، شيب عارضيه
مریض اللحظ في الحدق الصلاح
هو في غزله وجداًني رقيق الحس، يتبع القدماء في
معظمهم. من وقوف على الأطلال، وشكوى، وألم، وتدمج
بالعفة. ولعل أدل قصيدة على خصائص أبي فراس في هذا
الباب مطلع قصيده:
أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر
لقد أبلغ في رسم الصور، والانفعالات. والتلاوين
الشعرية. فالشاعر هنا يظهر شوقه ولو عنده للمحبوب بتستر
لأنه مثله «لا يذاع له سر». لا بل يعترف بدموعه إذا جن الليل
وأرخي أستاره عليه. وإن كان المحب العصي الدمع كما
يدعى.

إذا الليل أضواني بسطت يد الهوى
وأذلت دمعاً في خلائقه الكبر

كيف لا. ووصل الحبيب صعب المرام. هذا والحبية
التي تتلاعب بها أقوال الوشاة.
وقال:

معلتي بالوصول، والموت دونه
إذا مت ظماناً فلا نزل القطرُ

إنها حرقـة لاهـة تصعد من صدرـه، وتخـلـجـ في نفـسـيـهـ،
تدعـوهـ إلى مـثـلـ هـذـاـ التـمـنـيـ الـجـائـرـ. وـالـظـاهـرـ أنـ حـبـيـتـهـ كانـتـ
منـ أـهـلـ الـبـادـيـةـ. وـكـانـ منـ جـرـاءـ حـبـ الشـاعـرـ لهاـ خـصـامـ بيـنهـ
وبيـنـ أـهـلـهـ:

بدـوـتـ وأـهـلـيـ حـاضـرـونـ، لأنـسـيـ
أـرـىـ آـنـ دـارـاـ لـسـتـ منـ أـهـلـهاـ قـفـرـ
وـحـارـبـ قـومـيـ فـيـ هـوـاـكـ وإنـهـمـ
وـإـيـاـيـ، لـوـلـاـ حـبـكـ، المـاءـ وـالـخـمـرـ
وـإـنـ الـوـشـاـةـ لمـ يـتـرـكـواـ أـبـاـ فـرـاسـ وـشـانـهـ. بلـ يـقـيمـونـ عـنـ كـلـ
عـملـ يـقـومـ بـهـ. لـهـذـاـ تـرـاهـ كـثـيرـ الشـكـوـيـ مـنـهـ.

ترـوـغـ إـلـىـ الـوـاشـينـ فـيـ، وإنـ لـيـ
لـأـذـنـاـ بـهـاـ، عنـ كـلـ وـاشـبـيـةـ وـقـرـ

فإن كان ما قال الوثة ولم يكن

فَقَدْ يَهْدِمُ الْإِيمَانَ مَا شَيْدَ الْكُفَّارُ

ويصف نفسه بالوفاء، وحياته دون ذلك.

وفي بعض الوفاء مذلة
لأنَّه في الحُرْ شُبِّنَتْها الغدر

ومن خلال قصائده في هذا الغرض، لا ينفك عند اسم
محدد لحبية محددة عنده. ومن الممكن أن يكون قد أخفى
أسماء حبيباته لظروف البيئة المانعة ذلك. وأخفى اسم حبيبة
في أهم قصائده في هذا المجال وهي راثيته المشهورة.
فالحبية أزرت به، وجعلته محطم القلب، مجبل باحزانه،
مقيم مع همومه. وعلنته كيف تكون الشكوى ويبكون
الخضوع. وإنها تحاولت قدره، لتحط من عفوانه. مدفوعة
بعظمها شبابها، وزهو فتوتها.

تسائلني من أنت؟ وهي عليمة
وهل بفتقى مثلى على حاله ذكر
فقلت كما شاءت وشاء لها الهوى
فتبليك. قالت: أيهم؟ فهم كثر
وقالت لقد أزري بك الدهر بعدها
فقلت: معاذ الله يا أنت لا اندهر

وَمَا كَانَ لِأَحْرَانَ لَوْلَاكَ مُسْكٌ
إِلَى الْقَلْبِ، لَكِنَّ الْهَوَى لِلْبَلِي جَسْرٌ
وَأَيْقَنْتَ أَنَّ لَا عَزْ بَعْدِي لِعَاشِقٍ
وَأَنَّ يَدِي مَمَّا عَلِقْتَ بِهِ صَفْرٌ
فَعَدْتُ إِلَى حُكْمِ الزَّمَانِ وَحُكْمِهَا
لَهَا الذَّنْبُ لَا تَجْزِي بِهِ وَلَنِي العَذْرُ
إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ مَهْمَا كَانَ عَفِيفًا، وَإِنْ كَانَ «بِالْإِخَاءِ ضَئِيلًا».
أَوْ مُنْعِنَ العَذْرَ بِحَسْنِ وَفَائِهِ، فَإِنَّهُ يَثُورُ لِكَرَامَتِهِ عِنْدَمَا يَصْبِعُ
الْحَلْمُ غَبَوْةً:

هَيَهَاتُ، لَسْتُ أَبَا فَرَا^١
سِ إِنْ وَفَيْتُ لِمَنْ غَدَرَ
وَحْقِيقَةُ الغَزْلِ عِنْدَهُ أَنَّهُ شَادٌ عَنْ بَقِيَةِ الْمُولَدِينِ، لَأَنَّهُ ابْتَدَعَ
فِي عَزْلِهِ عَنِ التَّذَلُّلِ مِثْلَهُمْ لِمَنْ يَهْمِي وَيَحْبِبُ. وَرَبِّمَا كَانَ
الْحُبُّ عِنْدَهُ وَسِيلَةً لِبَحْثِ هَمُومَهُ:

وَوَاللهِ مَا شَبَبْتُ إِلَّا عَلَالَةً
وَمَنْ نَارٌ غَيْرُ الْحُبِّ قَلْبِي يَضْرِمُ
وَنَقْفٌ فِي شِعْرِهِ عَلَى صُورِ الْمَغَامِراتِ. وَهُنَاكَ
أَدَلةٌ وَاضِحةٌ عَلَى ذَلِكَ فِي دِيْوَانِهِ:

فبئْ أعلَّ خمراً من رضابٍ
 له سكر وليس له خمارٌ
 إلى أن رق ثوب الليل عنا
 وقالت: قم فقد برد السوار
 وولت تسرق اللحظات نحوني
 على فرق كما التفت الصوار
 والملاحظ أن غزله رقيق، ناعم. جاء عفو الخاطر، وكان
 مشبعاً بطبيعة الفطرة بعيداً عن الصنعة والتكلف. ومما زاد من
 بهاء الغزل عنده كثرة التشابيه في ألفاظه. ومن التشابيه
 الحضريـة الجميلة عنده:

ومرتدٌ بطرةٌ مُسْبَلَةٌ الرفافِ
 كأنها مُرسَلةٌ من زردِ مضاعفِ
 وهذا أسلوب محدث، فيه الجمال، والبراعة والرونق
 والخفة والاقتضاب.

وله تشابيه كثيرة بالورد، والغصن والبدر والغزال:
 غلام فوق ما أصفَ كأنَ قوامه ألفُ
 إذا ما مال يرعبنيَ أخاف عليه ينقصفُ
 وتغلب الصنعة أحياناً على غزله. فتظهر إذ ذاك أنواع
 البديع. ومن تفنته في توليد التشبيه قوله:

بـا لـيـلـة لـسـتُ أـنـسـى طـبـبـها أـبـداً
كـأـنـ كـلـ سـرـورـ حـاضـرـ فـيـها
بـاتـ وـبـتـ وـبـاتـ الزـقـ ثـالـثـاـ
حـتـىـ الصـبـاحـ لـتـسـقـيـ وـأـسـفـبـها
كـأـنـ سـوـدـ عـنـاقـيـدـ بـلـمـتـها
أـهـدـتـ سـلاـفـتهاـ خـمـرـاـ إـلـىـ فـيـهاـ
وـالـعـنـيـ فـيـ قـوـلـهـ،ـ فـيـ بـيـتـهـ الـأـخـيـرـيـنـ..ـ إـنـ شـعـرـهـ أـسـوـدـ
مـفـصـوصـ عـلـىـ الـزـيـ الـغـلامـيـ،ـ نـازـلـ إـلـىـ شـحـمـةـ أـذـنـهـ.ـ وـهـوـ
كـالـعـنـاقـيـدـ فـيـ تـشـيـهـ وـتـجـعـدـهـ.ـ وـكـأـنـ حـمـرـةـ هـذـهـ الـعـنـاقـيـدـ أـهـدـتـ
خـمـرـاـ إـلـىـ فـيـهاـ.

وـمـهـمـاـ كـانـ.ـ فـإـنـ غـزـلـهـ عـفـيفـ وـغـيرـ عـفـيفـ.ـ فـيـ الرـفـةـ
وـالـعـاطـفـةـ.ـ وـالـصـدـقـ وـالـنـبـلـ.ـ وـمـوـسـيقـىـ تـسـرـبـ خـلـالـ الـكـلـمـاتـ
وـالـأـلـفـاظـ،ـ لـتـشـدـكـ إـلـىـ عـوـالـمـ الـخـلـقـ وـالـرـوـحـ.

الحكمة :

لابي فراس أبيات حكمة كثيرة منشورة في تضاعيف
قصائده. صاغها في أبيات وأنصاف أبيات. وندرج فيها من
الحكمة البسيطة، والرأي العابر، إلى الحكمة العميقة،
والرأي السديد. أما الدوافع التي جعلته يسير في هذا المجال
فهي كثيرة. أهمها: العداء الدائم بينه وبين أهله من بني
حمдан، إذ كان هذا دفينًا في صدره، يصعد إلى العلاء في
لحظات كثيرة من الزمن. ومهما حاول الشاعر إخفاءه، فإنه
يظل علينا في أقوال كثيرة. أضف إلى ذلك أسره، وهو موته
الكثيرة التي انتابه أثناء ذلك. لا سيما بعدما عرف حقائق
كثيرة عن الناس، وعن الأقارب. والحكمة كانت في عصره
منتشرة، ذاتعة، خاصة عند أبي الطيب المتنبي. والمثلث
للنظر في حكمته التسليم المطلق لإرادة القدر، لإيمان أن
الإنسان مسير إلى نهاية محتملة. وما الحياة إلا دروس كتبت
على الإنسان لحظة تكوينه، وعليه أن يتقبلها مهما كانت،
لاعتبارها مشيئة الله في خلقه. ومن جميل حجمه هذه الأبيات
المترفة:

- وإذا المنية أقبلت لم يشنها
جُرْصُ الْحَرِيصِ، وحيلةُ الْمُحْتَالِ

- عفأْلَك عجزُ، إنما عفة الفتى
إذا عفَ عن لذاته وهو قادر
- سأني جميلاً ما حبست، فإنني
إذا لم أفد شكرًا أفتُ به أجرا
- لعمرك ما الأ بصار تنفع أهلها
إذا لم يكن للمبصرين بصائر
- لا أشتري بعد التجرب صاحبًا
إلا وددت بائني لم أشره
- أنفق من الصبر الجميل فإنه
لم يخش فقراً مُنْفِقًّا من صبره
- وأحُبُّ أخوانِي إلى أبغُشُهم
صديقه في سره أو جهره
وله أيضاً:
- الدهر يومان: ذا ثبتَ وذا زلل
والعيش طuman: ذا صابَ وذا عسلُ
كذا الزمان فما في نعمة بطرٌ
للعارفين ولا في نعمة فشل
وجاء في يتيمة الدهر. هذه الأبيات الحكيمية.
- غنى النفر لن يغْفَل خير من غنى المال

وفضل الناس في الأنس
س، وليس الفضل في الحال

وجاء كذلك:

- المرء نصب مصائب لا تنقضي
حتى يساري جسمه في رمه
فمؤجل يلقى في أهله
ومعجل يلقى الردى في نفسه

وله أيضاً:

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا
مما يكون وعله وعساه
والدهر أقصر مدة مما ترى
وعساك أن تكفي الذي تخشاه

الروميات

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب، وأصابته عين الكمال
أسرته الروم في بعض وقائعها، وهو جريع. وقد أصابه سهم
بقي نصله في فخذه. ووصل مثخناً إلى خرشنة، ثم إلى
القسطنطينية. وتطاولت مدة بهَا لتعذر المقاداة. وقد قيل :
«على كل نجح رقيب من الأفاق». وقد كانت تصدر أشعاره
في الأسر والمرض واسترادة سيف الدولة، وفرط الحنين إلى
أهله وأخوانه وأحبابه والتبرم بحاله ومكانه، عن صدر حرج،
وقلب شج، تزداد رقة ولطافة وت بكى سامعها، وتعلق بالحفظ
لسلامتها».

والروميات هي القصائد التي كتبها في أسره، في بلاد
الروم. والتي كانت صدى نفسه المعذبة القلقة. وفيها الكثير
الكثير من العاطفة والأحساس التي يندر وجودها عن غيره من
الشعراء، لصدقها وأمانتها. وكانت الروميات أشبه بسجل
عذاب، وديوان نفس بائسة متمردة. تعيش القلق والانتظار
وتحب الحرية شأنها في ذلك شأن بقية المخلوقات. وهذه
الحالة التجربة، صنعت أبا فراس، وأمدته بكثير من الأدوات

الصافية النقية، التي أسبغها على شعره. وممّا جاء في
ـ البتيمة ـ من بعض أبيات غير مثبتة في الديوان.

ـ قد عذب الموت بأفواهنا
والموت خير من مقام الذليل
إنا إلى الله لما نابنا
وفي سبيل الله خير سبيل
ولما شفيت فخلد من نصل السهم الذي أصابه قال:
فلا تصفن الحرب عندي فإنها
طعامي مذ بعث المصا وشرابي
ولجحت في حلو الزمان ومره
 وأنفقت من عمري بغیر حساب
وقال في خرشنة أجمل قصائده الوجданية. وفيها يتعالى
على جراحه، ولا يتهاوى أمام الكوارث، ولا يستسلم للقدر
والأحداث. فهو الذي أغار، وحارب الروم، وقاتلهم حتى
في خرشنة ذاتها. وأحرق بيته مرات عديدة، وروع أهاليها
كباراً وصغاراً.

إن زرت خرشنة أسيرا
فكم أحطت بها مغيراً^(١)

(١) خرشنة: حصن في بلاد الروم. مغيراً: محازياً.

ولقد رأيْتُ النَّارَ تَدْ
 تَهَبُّ الْمَنَازِلَ وَالْقُصُورَا
 ولقد رأيْتُ السَّبَبَ يُجْ
 لِبُّ نَحْوَنَا حُواً وَحُوراً^(١)
 نَخْتَارَ مِنْهُ الْفَادَةَ إِلَى
 حَسَنَاءَ وَالظَّبَّى الْغَرِيرَا^(٢)
 وَيَهُونُ الْحَادِثَةُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَئِنْ صَارَ أَسِيرًا بِخَرْشَتَهُ،
 وَسَكَنَ فِي لَبِلَهَا الْمُظْلَمُ، وَلَا قَى بَيْنَ جَدْرَانِ سَجْنَهَا الْحَزَنُ
 وَالْآلَمُ، فَإِنَّهُ فِي أَيَّامِ عَزَّهُ كَانَ مَسْرُورًا بِأَنْتَصَارَاتِهِ الَّتِي حَقَّقَهَا
 فِيهَا.

إِذْ طَالَ لَيْلِي فِي دُرَا
 كِ فَقَدْ نَعْمَتْ بِهِ قَصِيرَا^(٣)
 وَلَئِنْ لَقِيتَ الْحَزَنَ فِي
 لَكِ فَلَقَدْ لَقِيتُ بِكِ السَّرُورَا
 إِنَّهُ يَتَحَمَّلُ الْآلَمَ، وَيَعْلَلُ نَفْسَهُ بِالصَّبَرِ، لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَيْهِ
 بَابًا مِنَ الْفَرْجِ وَيَخْرُجُ مِنْ سَجْنِهِ، وَأَمْثَالُهُ الْفَرَسَانُ لَهُمْ

(١) انحو: الواحدة حواه، التي في شفتها سرة. الحور: الواحدة حوراء، التي في عينها حور.

(٢) الغرير: الفتى العجمي.

(٣) القصيم: عائد إلى خرشنة التي فقد فيها الملذات - إن طال لبلي في ذراك ..

الصدارة والإمارة، أو الأسر والقبر.
ولئن رميْت بحادث
فَلِلْفَيْنَ لَهُ صَبُوراً
صَبْرَا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْسُدُ
تَحْكُمَ هَذِهِ فَتْحَانَ يَسِيرَا
مَنْ كَانَ مُثْبِلِي لَمْ يَبْتَدِعْ
إِلَّا أَسِيرَاً أَوْ أَمِيرَاً
لَيْسَ تَحْلُّ سَرَاتِنَا
إِلَّا الصَّدُورُ أَوْ الْقَبُورَا
وَلَعَلَّ أَفْضَلَ فَصَائِدَهُ الْوِجْدَانِيَّةُ، تِلْكَ التِّي يَخَاطِبُ فِيهَا
حَمَامَةً طَلِيقَةً. إِذْ يَشْخُصُ فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ، حَالَةً إِنْسَانِيَّةً
شَامِلَةً، وَوَضْعًا اجْتِمَاعِيًّا يَتَمَثَّلُ بِالصَّرَاعِ بَيْنَ الْحَرِيَّةِ
وَالسَّجْنِ. وَتَبَدُّو فِيهَا مَعْانِي الْغَرَبَةِ النُّفُسِيَّةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ
وَاقِعِهِ الضَّيقِ - السَّجْنَ - إِلَى الْأَماْكِنِ الْفَسِيْحَةِ، لِيَخَاطِبُ
الْحَزَنَ الْبَشَرِيَّ، وَالْهَمَّ الْإِنْسَانِيِّ. وَيَتَمَّ ذَلِكَ بِاسْلُوبٍ
فَصَصِيٍّ، يَتَعَالَى فِيهِ الْحَوَارُ وَيَشْتَدُّ، لِيُشَكْفَ عَنِ الْأَزْمَاتِ
النُّفُسِيَّةِ الْمَعْذَبَةِ أَيْنَمَا وَجَدَتْ، وَأَنَّى حَلَتْ. وَفِيهَا يَتَعَالَى
الْحَزَنُ الَّذِي يَخْلُفُهُ الْفَرَاقُ، وَكَيْفَ لَا يَحْزُنُ وَهُوَ الْأَمِيرُ
الْأَسِيرُ، الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ سُكُونِهِ وَأَهْلِهِ فِي ذَلِكَ الْأَفْقَ الْبَعِيدِ
(مَنْج) وَحَلَّ فِي ظَلْمَةِ السَّجْنِ فِي خَرْشَنَةِ مِنْ بَلَادِ الرُّومِ.

لذلك نراه يفني في بُعده دموعه ويستند في هجره صبره
وسلوانه. وهذه بعض أبيات من القصيدة:

أقول وقد ناحت بقربي حمامه
أيا جارتا هل تشعرين بحالٍ؟
معاذ الْهُوَى مَا ذَقْت طَارِقَةَ النَّوْى
وَلَا خَطَرْتْ مِنْكَ الْهَمُومَ بِبَالٍ^(١)
أتحمِّلُ مَحْزُونَ اَنْفُوادَ قَوَادُمْ
عَلَى غَصِّنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ^(٢)
أيا جارتا ما أَنْصَفَ الدَّهْرَ بِيَتْنَا
تَعَالَى أَقَاسِمُكَ الْهَمُومَ تَعَالَى
تَعَالَى تَرَنِي رُوحًا لَدَيْ ضَعِيفَةً
تَرَدَدَ فِي جَسْمٍ يَعْذَبُ بِالْبَالِ^(٣)
أَيْضُوكَ مَأْسُورًا وَتَبَكِي طَلِيقَةً
وَيَسْكُتُ مَحْزُونَ وَيَنْدَبُ سَالٌ؟
لَقَدْ كُنْتُ أَوْلَى مِنْكَ بِالدَّمْعِ مَقْلَةً
وَلَكِنْ دَمْعِي فِي الْحَوَادِثِ غَالٍ

(١) معاذ الْهُوَى: أي أَعْصَمَ الْهُوَى مِنْكَ. المعاذ: الملاجأ.

(٢) قَوَادُمْ: الْوَاحِدَةُ قَادِمَة، كبار الريش في جناح الطائر. نَائِي: بعيد.

(٣) تَرَدَدُ: الأَصْلُ تَرَدَدُ، وَحَذَفَتِ النَّاءُ لِلتَّخَفِيفِ.

بعد الذي قدمناه نرى أبا فراس يقدم حواراً ظاهراً مع رموز الواقع في عالمه، وحواراً داخلياً مع ذاته، وحواراً خفياً وجلياً مع ربه «صبراً لعل الله». واتخذ الشعر شاهداً ينقل محاوراته وأزمانه. رسم بالشعر تطلعاته إلى إنسان السعادة خارج حدود السجن والأصفاد. وإنه بمعاناته يحمل بعالم المثل، عالم غير قائم وراء الغمام، بل في التراب الذي نحن فيه. حاول أن يفتح مواسم السعادة في وجوه الناس، ويرسم لعشاق الحرية طرق المكارم.

وأصعب اللحظات عنده، تلك التي يتذكر فيها أمه، حيث تكبر لديه المصائب، ويعزي نفسه بالصبر، على الأيام تتغير، والأحوال تحمله إلى الحرية التي يتمناها بعد هذا الألم، الذي أضعف جسده من كثرة الأرق والسهر والتفكير.

مصابي جليلٌ، والعزة جميلٌ
وظني بأنَّ الله سوف يديلُ^(١)
جراح، تحامها الأساء مخوفةٌ
وسقمان: باءٍ، منها ودخلٌ^(٢)
وأسر قاسيه، وليلٌ نجومه
أرى كل شيء، غيرهنَّ يزولُ

(١) يديل: يبدىء الأحوال.

(٢) الأساء: الواحد آسن، الطيب.

وتبدو الحيرة في كلمات الشاعر. الحيرة المعبرة عن اضطراب نفسي ، وعدم ركون لحياة قاسية مؤلمة. حتى تخاله يحسب الساعات أيامًا طوالاً، بعدها انقض عنه الأهل والأصدقاء في سجنه البعيد. ولم يبق سوى عواطف يحملها كلام رقيق، وشعور مرهف.

تطول بي الساعات وهي فصيرة
وفي كل دهر لا يدرك طول
أقلب طرفي لا أرى غير صاحب
يميل مع النعما حيث تميل

وبعد هذه الانفعالات اللاهبة. يتوجه بالحديث إلى أمه الصابرة الحزينة. ويدعوها للصبر لأنه مفتاح الفرج، وهو السلاح الوحيد لديه ولديها. ويطلب منها أن تصبر وتذكر الله، وتكون كما كانت النساء الأوائل أمثال - صفية - عمّة النبي محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه، التي كانت عنوان التصبر والإيمان بعد مقتل أخيها حمزة - عم النبي - في معركة - أحد -.

فيما أمّت لا تخطئي الأجر إله
على قدر الصبر الجميل جزيل^(١)

(١) لا تحطئي الأجر: أي لا تجهزي بفوتك.

تأسى كفاك الله ما تحذرنيه
 فقد غال هذا الناس قبلك غالٌ^(١)
 وكوني كما كانت بأحد صفيه
 ولم يشف منها بالبكاء غيلٌ^(٢)
 وبعد هذا يخاطب أمه بكل حُنُو ورقة. وعليها أن تسلم
 أمرها لله. لأن الإيمان والتقوى هما السبيل للخلاص. وإن
 مشيئة الله فعلت فعلها وجعلته أسير خوشة في بلاد الروم.
 ومن لم يسوق الله فهو ممزقٌ
 ومن لم يعز الله فهو ذليلٌ^(٣)
 وما لم يُرِدَ الله في الأمر كله
 فليس لخلقٍ إلّا سبيلاً

وكتب إلى سيف الدولة هذه القصيدة^(★):

هل تعطفان على العليل	لا بالأسير ولا القليل
باتت تقلبه الأك	فـ سحابة الليل الطويل
برعنى النجوم السائرا	بت من الطنوع إلى الأفول

(١) غال: أحد فنهنك.

(٢) أحد: معركة شهيرة وقعت بين المسلمين والمشركين. صفيه: عمدة أبي محمد بن يحيى.

(٣) لم يسوق: لم يتق.

(★) الديوان - ص ١٤٥ - ١٤٦.

فقد الضيوف مكانه
ولعسو حشت لفراقه
ونتعطلت سمر الرما
يا فارج الكرب العظي
كن يا قويًّا لذا الضعى
قربه من سيف الهدى
بأعدي في النائبا
ابن المحبة والذما
أما المحب فليس يص
يمضي بحال وفائه
ويصُّ عنْ قالٍ وقيل
في هذه القصيدة حسراً وعتاب. أما الحسراً فهي نابعة من
قلب الشاعر المأسور، والذي بقي ظلماً دون افتداء. ويطلب
بانكسار العطف من ابن عمه سيف الدولة، لأنَّه أصبح علىًّا
مرهقاً، وبات على أكْفِ الأيام والزمن وكأنَّه ريشة في مهب
الريح. لا يعيش مثل الأدميين. فهو مؤرق مسهد يعد
النجوم، ويتطاول ليله إلى ما لا نهاية. إنه إنسان معروف فقده
الأصدقاء، والضيوف، وهذا دليل الكرم والمكانة
الاجتماعية. حتى أنَّ أبناء السبيل بكوه بعدما انقطعت
أرزاقهم. ويفخر بنفسه حتى في الموضع الصعبه وربما يكون
هذا تعويضاً عما هو فيه. إذ أنَّ الخيول لو عرفت الكلام

لتكلمت، ولكنها تحس وتشعر أن فارسها غير موجود، ولهذا تخشى الذهاب إلى المعارك والدخول في ميادين الوعن. وفي القصيدة عتاب على ابن عمه سيف الدولة ويطلب منه المساعدة، من أجل الخلاص. ويسأله عن الوعد، والحب، والذمام، وكأنه يقدم نصيحة لأمير حلب، فيها كثير من الحكمة أي أن المحب الصادق لا يسمع كلام الوشاة، ولا يغير أذنه إلى كلام السوء من جماعة نفوسهم مريضة، يريدون الإيقاع بين الأمير والشاعر.

إنه يضيق ذرعاً بسجنه. وتتكاثف عليه الحسرات التي لم يستطع بعد أن يتحملها، وتكبر المصائب في نفسه خاصة عندما عرف أن أمّه وقعت بمرض وأصبحت عليهـة. ومعللها بعيد عنها في أيدي الأعداء، بين غياـب السجون.

بـا حـسـرـة مـا أـكـاد أحـمـلـها
أـخـرـهـا مـزـعـجـ وـأـؤـلـهـا
عـلـيـلـة بـالـشـام مـفـرـدة
بـاتـ بـأـيـديـ العـدـى مـعـلـلـهـا^(١)
تـمـسـكـ أـحـشـاءـهـاـ عـلـىـ حـرـقـ
تـطـقـهـاـ وـالـهـمـوـمـ تـشـعـلـهـا^(٢)

(١) معللها: ابنها الذي يخفف عنها وطأة الفراق. والعليلة: هو المُشاعر.

(٢) الحرق: الألام. تطفئها وتشعلها. تحـمدـهـاـ بـالـصـبـرـ وـالـتـحـمـدـ، وـلـكـ

الـأـلـامـ تـعـودـ وـتـشـعـلـ مـنـ جـدـيدـ

إذا اطمأنْتْ وأين؟ أو هدأْتْ

عَنْتْ لِهَا ذِكْرَةُ نُقْلَفْلَهَا^(١)

وأمه التي وقعت في مرض وعلة، لا تنفك تسأل عنه الركبان والمسافرين. وذلك من أجل الاطمئنان عن ابنها البعيد القريب. إذا لا شفاء لها من علتها سوى اطلاق سراح ابنها. إنها تسأل عنه بعزة وكبراء، لا تسأل عن إنسان عادي، بل عن أسد هصور، وفارس مغوار. ويحملهما السلام إليها وهو في خرشنة.

تَسَأَّلُ عَنَا الرَّاكِبَانِ، جَاهِدَةً

بَادِمَعٍ مَا تَكَادُ تَمَهَّلُهَا^(٢)

يَا مِنْ رَأَى لِي بِحَصْنِ خَرْشَنَةِ
أَسَدَ ثَرْيَ فِي الْقِيُودِ أَرْجُلَهَا^(٣)

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبَانِ هَلْ لَكُمَا
فِي حَمْلِ نَجْوَى يَخْفُّ مَحْمَلُهَا
فَوْلًا لَهَا إِنْ وَعْتُ مَفَالِكُمَا
وَإِنَّ ذَكْرِي لَهَا لَيَذْهَلُهَا

(١) وأين: يعني بها أن الاطمئنان شيء، بعيد العمال. عنت: بدت. نقلنها. تهزها اضطرانا.

(٢) الركبان: المسافرون.

(٣) خرشنة: قلعة ببلاد الروم بجري الفرات من تحتها، وفيها اسر الشاعر.

بِاُمَّتَا هَذِهِ مَنَازِلُنَا
نَتَرْكُهَا تَارَةً، وَنَنْزِلُهَا

وَلَا يَنْسَى الشَّاعِرُ أَنْ يُعَاتِبَ ابْنَ عَمِّهِ سِيفَ الدُّولَةِ، الَّذِي
مَا طَلَ وَتَأْخُرَ فِي افْتَدَاهُ وَفَكَ أُسْرَهُ. وَفِي عَتَابِهِ هَذَا يُفْخَرُ
بِنَفْسِهِ، وَيَلْوُمُ سِيفَ الدُّولَةِ الَّذِي سَمِعَ كَلَامَ الْوَشَاءِ وَالْحَسَادِ.

أَسْلَمْنَا قَوْمَنَا إِلَى نُوبٍ
أَيْسَرَهَا فِي الْقُلُوبِ أَفْتَلَهَا^(۱)

وَاسْتَبَدُلُوا بَعْدَنَا رِجَالًا وَغَيْرَهُ
يَرُدُّ أَدْنَى عَلَيِّ أَمْثَلَهَا^(۲)

وَبَعْدَ هَذَا يَتَنَقَّلُ لِمَدْحُ سِيفَ الدُّولَةِ، وَيَصْنَعُهُ بِأَوْصَافِ
جَمِيلَةٍ وَرَائِعَةٍ. وَيَلْوُمُهُ وَيَعْتَبُ لِأَنَّ الْأَمِيرَ رَدَّ أَمَّا الشَّاعِرُ وَلَمْ
يَحْقِّقْ أَمْبِيَتَهَا فِي افْتَدَاهِ ابْنِهِ الْأَسِيرِ.

أَنْتَ سَمَاءٌ وَنَحْنُ أَجْمَعُهَا
أَنْتَ بَلَادٌ وَنَحْنُ أَجْبَلُهَا
أَنْتَ سَحَابٌ وَنَحْنُ وَابْلُهُ
أَنْتَ يَمِينٌ وَنَحْنُ أَنْمَلُهَا

(۱) نُوب: مصائب. إِشارةٌ إِلَى سِيفَ الدُّولَةِ الَّذِي أَسْلَمَهُ هُوَ وَصَاحِبُهُ إِلَى
مَصَاصَ شَدِيدَةٍ.

(۲) الْوَغْنُ: الْعَربُ. أَيْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اخْتَارُوهُمْ بَعْدِي، يَنْصَبُ
أَحْسَنَهُمْ أَنْ يَصْلُ إِلَى أَدْنَى درَجَةٍ مِنْ هُنْتِي وَمَجْدِي.

بأي عذر ردت والهة

عليك دون الورى معولها^(١)

جاءتك تمتاح رُدّ واحدها

يتنظر الناس كيف تغفلها^(٢)

وبالرغم من هذه المواقف من سيف الدولة، إلا أن أبا
فراس يبقى في طاعته ويطلب رضى الأمير.

إن كنت لم تبذل الفداء لها

فلم أزل في رضاك أبذلها^(٣)

ويحاول أن يثير سيف الدولة، ويدفعه دفعاً لفك أسره
وافتدايه، بما يسفع عليه من صفات حسنة. يجعل سيف
الدولة صاحب المودة، والمعالي والرفعة. وهذا مدح يحمل
في طياته ألم الفراق، والعتاب العر.

تلك المودات كيف تُهملها؟

تلك الموعيد، كيف تغفلها؟

تلك العقود التي عقدت لنا

كيف وقد أخِيكَمْتْ تحللها

(١) والهة: حزينة. معولها: الذي تعتمد عليه. - وفي هذا البيت عتاب -.

(٢) تمتاح: تأس، تطلب. تغفلها: ترجمها.

(٣) لم تبذل الفداء لها: يقصد بها هنا نف.

أين المعالي التي عُرِفت بها
تقولها دائمًا وتفعلها

ويشير الشاعر إلى كرم سيف الدولة. ذلك الكرم الذي طاول الناس، حتى غدا الأمير رمزاً للجود، والرقة، ومساعدة الرعية. وبهذه الصفة صار سيف الدولة رمزاً من رموز السُّؤدد والكبارياء والعظمة. وبعد هذا يتمنى الشاعر أن يكرم عليه الأمير وينهي مأساته في خروشة. لأن الله أوصى بالأقربين.

لم يبق في الناس أمةٌ عُرِفتْ
إلاً وفضلَ الأمير يشملها
نحن أحقُّ الورى برافقته
فأين عننا؟ وأين معدلها^(١)
بما منفقَ المال لا يدبر به
إلاً المعالي التي يؤشلها^(٢)
أصبحت نشيءٍ مكارماً فضلاً
فدائنا قد علمتَ أفضلها^(٣)

(١) معدلها: مصروفها.

(٢) يؤشلها: يؤصلها.

(٣) نشيء: نشيء. فضلاً: زيادة.

لا يقبل الله قبل فرضك ذا نافلةٌ عنده تنفّلها

في هذه القصيدة الرائعة تتجسد عناوين مهمة:

١ - الحسراة والالم: نتيجة الاسر والمهانة التي يعيشها الشاعر في سجن خرشنة. ومماطلة ابن عمه سيف الدولة بعدم افاداته. وهو الفارس القوي الذي أصبح في الأصفاد والسلسل والقيود.

٢ - تذكر أمه: إن الحنين يحمله بشكل دائم إلى التفكير بأمه المريضة، التي اعتلت صحتها بسبب سجن ابنها. وهذا التذكر فيه من الوجدان والعاطفة الشيء الكثير. حتى يعتبر مثلاً يقتدى في الاحترام والمودة.

٣ - العتاب: إذ لا ينسى أن يضمن قصيده عتاباً رقيقاً، وتوبيناً مبطناً لصاحب السلطة والسلطان في حلب. لأنه لم يعمل شيئاً من أجل فارس بني حمدان، ودودحة البلاط الحمداني. فأهمله سنوات في السجن يعيش الحنين والالم والشهداد.

٤ - المديع: إنه لا يقطع حبل المودة بينه وبين سيف الدولة. وبعد العتاب نرى أبياتاً في مدح سيف الدولة. يذكر فيها أيامه، وكرمه، وصفات الأمير الحسنة والمحبة، والتي

جعلته سلطة وسلطاناً، وقائداً لبني حمدان تأنس فيه الرعية.
٥ - التعب النفسي: ونراه واضحاً في كل أبيات القصيدة.
وربما كان هو الدافع لالهام الشاعر بهذه المعاني الرقيقة.

نماذج من شعر أبي فراس

يُخاطب في هذه الأبيات سيف الدولة^(*)
زمانِي كله غضبٌ وعنت
وأنت علىِ والأيام إلَّا
وعيش العالمين عليك سهلٌ
وعيشي وحده بفناك صعب
وأنت وأنت دافع كلَّ خطبٍ
مع الخطب الملمٍ علىِ خطبٍ
أمثلِي تُقبل الأقوال فيه؟
ومثلِك يستمر عليه كذب^(**)
وزندي وهو زندي ليس يكتبو
وناري، وهي نارك، ليس تخبو^(**)
وفرعي فرعك السامي المعلى
وأصلِي أصلك الزاكي وحسب^(**)

الديوان - ص ٢١ - ٢٢ (★)

(١) أي إلى متى سيستمر الوشاية بالتفرقة بيني وبينك، وكيف يستطيع الكذبة أن يكذبوا، وهل تصدق قولهم.

(٢) يكتبه: ينكلف، يترجم، ينهرم، تخو: تطفأ.

(٣) فرعى: أصلى، أي أنه وابن عمه من فرع واحد.

وأعمامي ربعة وهي صيد
 وأخوالي بلصقر وهي غالب^(١)
 وفضلي تعجز الفضلاء عنه
 لأنك أصله والمجد ترب^(٢)
 فلما حالت الأعداء دوني
 وأصبح بیننا بحر و درب^(٣)
 فقل ما شئت في فلي لسان
 ملي بالثناء عليك رطب^(٤)
 وعاملني بانصاف وظلم
 تجذبني في الجميع كما تحب
 وقال مفتخرًا بهذه الأبيات. ومناسبة القصيدة هي: «أن
 مناظرة وقعت بين أبي فراس والدمستق وهو في أسره. فقال
 له الدمستق: «إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب» فرد عليه
 أبو فراس قائلاً: «نحن نطا أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم
 بالأقلام» ثم قال هذه الأبيات^(*):

(١) صيد: ملوك كرام.

(٢) ترب: من ولد معك، أي من كان في عمرك.

(٣) حالت: فصلت. درب: أزاد بالطريق الذي يفصل بين الدولة الحمدانية
وببلاد الروم.

(٤) فلي: النقطع.

(*) الديوان - ص ٢٧ - ٢٨

أَرْزَعْمُ بِا ضَخْمَ الْغَادِيدِ أَنَا
 وَنَحْنُ أَسْوَدُ الْحَرْبِ لَا نَعْرُفُ الْحَرْبَ^(١)
 فَوَيْلَكَ مِنَ الْحَرْبِ إِذْ لَمْ نَكُنْ لَهَا
 وَمِنْ ذَا الَّذِي يَمْسِي وَيُضْحِي لَهَا تَرْبَا^(٢)
 وَمِنْ ذَا الَّذِي يَلْفُجُ الْجَيْشَ مِنْ جَنِبَاتِهِ؟
 وَمِنْ ذَا يَقْرُدُ الشَّمْأَ أوْ يَصْدِمُ الْقُلُبَ^(٣)
 وَوَيْلَكَ مِنَ أَرْدَى أَخَاكَ بِمَرْعَشِ
 وَجَلَلَ ضَرْبَةً وَجْهَ وَالْدَكَ الْعَضْبَا^(٤)
 وَوَيْلَكَ مِنْ خَلِي ابْنَ أَخْتَكَ مَوْثِقًا
 وَخَلَّاكَ بِالْلَقَانِ تَبَتَّدِرُ الشَّعْبَا^(٥)
 أَنْوَعْدَنَا بِالْحَرْبِ حَتَّى كَائِنَا
 وَإِيَاكَ لَمْ يَعْصِبْ بِهَا قَنْبِنَا عَصْبَا^(٦)

(١) **الْغَادِيد:** أَنْوَادُ لَعْنَودٍ، لَحْمَةٌ فِي الْعَنْقِ. وَالْمَرَادُ هُوَ كِتَابٌ عَنْ صَحْمَةِ الْعَنْقِ.

(٢) **الْتَرْبَ:** مِنْ كَانَ فِي عَرْكٍ. وَهُوَ كِتَابٌ عَنْ مَعْرِسَةِ أَحْمَدَ بْنِي الْحَرَبِ حَيْثُ شَنَّا وَإِيَاهَا.

(٣) **يَلْفُجُ:** يَسْوِقُ. **الشَّمْأُ:** دُوْوَ الْعَزَّةِ وَالْأَنْفَةِ. **الْقَنْبُ:** أَنْ قَلْبُ الْجَيْشِ.

(٤) **أَرْدَى:** جَمْعُهُ صَرِيعًا. **جَلَلُ:** غَطْرُ. **الْعَصْبُ:** السَّيفُ، أَنْي وَجْهَ وَالْدَكُ الْمَغْضُى بِالْدَهْ وَالْمَضْرُوبُ بِالسَّيفِ.

(٥) **مَوْثِقُ:** مَفْيَدٌ. **الْلَقَانُ:** بَلْدٌ سَارِرٌ وَرَاءَ حَرَشَةٍ. **تَبَتَّدِرُ الشَّعْبُ:** تَحْدَدُ الْمَرْقَبُ الْمَلْتَوِيَّةُ وَهُوَ دَنْبَلٌ عَلَى فَرَرَهُ وَهَرَبَتْهُ.

(٦) **يَعْصِبُ:** يَرْبَطُ.

بآفلامنا أَخْجَرْتَ أَمْ بِسِيوفِنَا
 وأَسَدَ الشَّرِّيْ قَدَنَا إِلَيْكَ أَمْ الْكِتَبَا^(١)
 ترکناك في بطن القلاة تجرويْها
 كما اتفق اليربوع يلشم التُّرب^(٢)
 فما خَرَنَا بِالطَّعْنِ وَالضَّربِ فِي الْوَغْيِ
 لقد أَوْسَعْتَ النَّفْسَ يَا بْنَ اسْتَهَا كَذْبَا^(٣)

وقال هذه القصيدة^(*):

يَا طَوْلَ شَوْقِيْ إِنْ قَالُوا الرَّجُلُ غَدَا
 لَا فَرْقَ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَنَا أَبْدَا
 يَا مِنْ أَصَافِيْهِ فِي قَرْبِ وَفِي بَعْدِ
 وَمِنْ أَخْالِصِهِ إِنْ غَابَ أَوْ شَهَدَا^(٤)
 لَا يُبَعْدُ اللَّهُ شَخْصاً لَا أَرَى أَنْسَا
 وَلَا تَطِيبُ لِي الدِّينُ إِذَا بَعْدَا

(١) أَخْجَرْتَ: أي أَقْمَتَ في الحجر، ونجَّـتَ: أي لَمْ أَمْكِنْ الحصبةَ حَوْرَـةَ وَفَرْـعاً، وفي هذا البيت رد على كلامهم الدمشقي أَسْلَفَ الْأَذْكَـرِ.

(٢) اليربوع: حيوان فاصم بشه الماء، طوبل الرجالين، فصیر البدين، طبل الذب، يلشم الترب: أي أنه يخفى وحده باشراب.

(٣) يابن اسْتَهَا كَذْبَا: الاست: السلفة، وهذا ذم شديد متدفع.

(★) الديوان - ص ٥٧.

(٤) أَصَافِيْهِ: أَخْالِصِهِ.

راع الفراق فزادأ كنت تزني
 وذر بين الجفون الدمع والشهد^(١)
 أضحي وأضحيت في سر وفي علن
 أعده والدا إذ عذني ولذا
 ما زال ينظم في الشعر مجتها
 فضلاً وأنظم فيه الشعر مجتها
 إذ فصر الجهد عن إدراك غايته
 فاعذر الناس من أعطاك ما وجدا
 أبقى لنا الله مولانا ولا برحث
 أيامنا أبداً في ظله جدداً
 لا يطرق النازل المحذور ساحته
 ولا تمد إليه الحادثات يداً
 الحمد لله حمداً دائمَاً أبداً
 أعطاني الدهر ما لم يعطا أحداً
 وقال متغزاً ومنتخرًا^(*):

أراك عصي الدمع شبتك الصبر
 أما للهوى نهي عليك ولا أمر

(١) ذر: ثر.

(*) الديوان ص ٦٤ وما بعدها.

بلى، أنا مشتاق وعندى لوعة
 ولكنّ مثلّي لا يذاع له سرٌ
 إذا الليل أصواني بسطت يد الهوى
 وأذللت دمعاً في خلائقه الكبير^(١)
 تكاد تُضيء النار بين جوانحِي
 إذا هي أذكتها الصباة والفكير^(٢)
 معلّتي بالوصلي، والموت دونه
 إذا مِتْ ظمآنَ فلا نزل القطر^(٣)
 حفظتْ وضيّعتْ المودة بيننا
 وأحسن من بعض الوفاء لك العذرُ
 وما هذه الأيام إلا صحائفُ
 لا حرفها في كفٍ كاتبها بشر^(٤)
 بنفسي من الفادرین في الحي غادة
 هواي لها ذنب، وبهجتها عذر^(٥)

(١) أصواني: أضعفي. خلائقه: صفتته. الكبير: الآفة.

(٢) الجوانح: الصلوة. أذكتها: أشعنتها. الصباة: الشرق.

(٣) معلّتي: مضمعني.

(٤) صحائف: الواحدة محقيقة، كتاب.

(٥) غادة: فتاة جحينة هيفاء.

تروغ إلى الواشين في دان لي
 لاذناً بها عن كل واشية وقر^(١)
 بدوت وأملي حاضرون لأنني
 أرى أن داراً لست مبن أهلها فقر^(٢)
 وحاربت قومي في هواك وإنهم
 وإيسي لولا حبك الماء والخمر
 تسائلني: من أنت؟ وهي علية
 وهل بفتى مثلي على حاله نكر؟
 فقلت كما شاءت وشاء لها الهرى:
 قتيلك قالت: أيهم؟ فهم كثر
 فقلت لها: لو شئت لم تتعنتي
 ولم تسألي عنني وعندي بي خبر^(٣)
 فقالت: لقد أزري بك الدهر بعدها
 فقلت: معاذ الله بل أنت لا الدهر^(٤)
 وما كان للأحزان لولاك مسلك
 إلى القلب لكن الهرى للبلى جسر

(١) تروغ: تكذب. الواشين: الحاسدين، الكاذبين.

(٢) بدوت: أقمت في الباذية.

(٣) تعنتي: تطليس أمرًا تغمره المثقة.

(٤) أزري: أذل.

فلا تنكريني يابنة العم انه
 ليعرف من انكرته البدو والحضر
 واني لجرأ لكل كتبية
 موعدة ان لا يخل بها النصر^(١)
 واني لنزال بكل مخوفة
 كثيراً إلى نزالها النظر الشزر^(٢)
 فاظمنا حتى ترتسى البيض والقنا
 وأسغب حتى يشع الذئب والسر^(٣)
 ولا أصبح الحي الخلوف بفارارة
 ولا الجيش ما لم تأبه قبلي النذر^(٤)
 ونحن أناس لا توسط عندنا
 لنا العذر دون العالمين والقبر
 تهون علينا في المعالي نفسنا
 ومن خطب العشاه لم يغلها المهر

(١) جرار: الفعل جر، أي قاد. لا يخل بها النصر: أي أنها تتصر دائمًا.

(٢) المخوفة: أرض مخيفة. النظر الشزر: نظر فيه غضب وامتعاض.

(٣) البيض والقنا: أي السيف والرماح: أسلوب: أرجع.

(٤) الحي الخلوف: الحي الذي غاب عنه رجاله. أي انه لا يهاجم أعداءه
ما لم ينذرونهم.

وقال هذه القصيدة مهنتاً سيف الدولة باليقانه بالقبائل
العاشرية له. ويفخر به، وبنفسه وقومه السوائلين
ووقائهم (★):

لعلَّ خيالَ العاشرية زائرٌ
فَيُسْعَدَ مهجوراً، ويُسْعَدَ ماجراً
وقد كنتُ لا أرضي من الوصول بالرضا
لباقي ما بيني وبينك عامراً
وانني على طولِ الشناسِ عن الصبا
احنُّ وتُضيّبني، إليك الجاذرُ^(١)
وانسي إذا لم أرجُ يقطانَ وصلها
ليُقْنعني منها الخيالُ المزاورُ^(٢)
وفي كلتي ذاك الخباء خربدةٌ
لها من طعان الدارعين ستائرُ^(٣)
تفول إذا ما جئتها مندرعاً
ازائرُ شوق انت ام انت ثائرُ^(٤)

(★) الديوان - ص ٨١ - ٨٢.

(١) الشمس: الاباء. الجاذر: الواحد جوز، ولد ثمرة الوحنة.

(٢) المزاور: الخيال الذي لا يبرح مخيالي.

(٣) الكلة: الست. الخربدة: الفتاة البكر.

(٤) مندرعاً: أي منقطعاً بالسلاح.

نَشَّتْ فِعْصَنْ نَاعِمْ أَمْ ثَمَاثِلْ
 وَوَلَتْ فَلَيْلَ فَاحِمْ أَمْ غَدَائِرْ
 فَأَمَا وَفَقَدْ طَالَ الصُّدُودُ فَإِنَّهُ
 يَقْرُ بِعَيْنِي الْخَيْلَ الْمَزَارُ
 نَفِي الْهَمْ عَنِي هَمَةْ عَدَوَيْنَهُ
 وَقَلْبُ، عَلَى مَا شَتَّتْ مِنْهُ مَظَاهِرُ^(١)
 وَأَسْمَرُ مَا يَنْبَثِطُ الْخَطُّ ذَابِلُ
 وَأَبْيَضُ مَا تُطْبَعُ الْهَنْدُ بَاتِرُ^(٢)
 وَنَفَرَ لَهَا فِي كُلِّ أَرْضِ لَبَانَهُ
 وَفِي كُلِّ حَيِّ أَسْرَهُ وَمَعَاشِرُ^(٣)
 يَوْجِهَ كَلَامَهُ فِي هَذِهِ الْقُصْبِيَّةِ إِلَى سِيفِ الدُّولَةِ^{(٤)★}:
 وَمَا كُنْتُ أَخْشِيَ أَنْ أَبْيَتْ وَبِيَنَنَا
 خَامِحَانَ وَالدَّرْبُ الْأَشْمُ وَالْأَسْرُ^(٥)
 وَلَا أَنْتَ أَنْتَ صَاحِبُ الصَّبَرِ سَاعَةً
 وَلَبِي عَنْكَ أَمْسَاعَ وَدُونَكَ حَابِسُ

(١) عَدَوَيْنَهُ: نَسَةُ بْنِ بْنِ عَدَيْ.

(٢) السَّتَرُ السَّبَبُ التَّنَافِعُ.

(٣) لَبَانَهُ: حَاجَةُ.

(٤) الدِّيْوَانُ - ص ١٠٥ ★

(٥) إِنْ أَبْيَتْ وَبِيَنَنَا: يَوْجِهَ كَلَامَهُ إِلَى سِيفِ الدُّولَةِ. آلَسُ: نَهْرُ.

شريتك من دهري بذى الناس كلهم
 فلا أنا مبخوس ولا الدهر باخر^(١)
 وملكك النفس النفيسة طائعاً
 وتبذل للمسؤول النفوس النفاس
 رفعت عن الحساد نفي وهل هم
 وما جمعوا لوشئت إلا فرائس؟
 أيدرك ما أدركت إلى ابن همة
 يمارس في كسب العلا ما أمars
 يضيق مكاني عن سواي لأنني
 على قمة المجد المؤثل جالس^(٢)
 سقت وقومي بالمحكم والعلا
 وإن رغمت من آخرين المعاطس

وقال^(★):

أشاك الطيف ألم طارقة
 آخر ليل، لم ينمه عاشقة^(٣)
 والصبح في أعقابه يساوقة
طالب ثأر من ظلام لاجفة

(١) باخر: ناقص، ظالم.

(٢) المؤثل: المناضل.

(★) الديوان - ص ١٩٤.

(٣) الطيف: الجبال. ألم: فهد، زار.

مُرْقٌ عَلَى صَبَابِهِ سَرَادِفَةُ
 وَانْحَابٌ عَرَثُوبُ الظَّلَامِ غَاسِفَةُ
 مِنْ بَعْدِ مَرْسَمٍ مُشْوِقاً شَائِفَةُ
 وَسَعْقَتْ بَيْنَهُ نَواعِفَةُ^(١)
 وَلَبَسَتْ مِنْ رَهْرَهِ حَدَائِفَهُ
 سَمُوطٌ حَلَّيْ فَصَلَتْ عَفَائِفَةُ^(٢)
 وَجَرَشَعَ عَالِيَ التَّلَبِيلِ أَفَفَهُ
 حَاطِي مَحَالِ الدَّفَتِيرِ نَاهِفَةُ^(٣)
 عَرَ الشَّوَى نَقَارِبَتْ مَرَافِفَهُ
 أَنْجَبَهُ، وَجَبَهُ وَلَاحِفَةُ^(٤)
 إِذَا دَجَا اللَّبِيلُ وَغَابَ شَارِفَهُ
 وَصَاقَ عَنْ عَيْنِ الصَّوَابِ بَارِفَةُ

(١) سعقت: أخرجت صوناً كتعين العراب

(٢) سموط: الواحد سوط، الفلادة

(٣) التلبيل: العنق

(٤) الشوى: من أعضاء، الجسم

أسماء بعض المصادر والمراجع

- النجوم الزاهرة - مروج الذهب
- تاريخ الطبرى - ديوان البحترى
- البيان والتبيين - الحيوان .
- ضحى الإسلام - نيكلسون
- ديوان أبو فراس الحمداني



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٥	العصر العباسي
١٦	الحياة العقلية - الحركة العلمية
٢٣	إمارة بنى حمدان
٣٠	أبو فراس الحمداني
٣٨	أبو فراس في الأسر
٤٧	الفخر والمدح
٦٦	الأخوانيات
٧٠	الغزل
٨٦	الحكمة
٨٩	الروميات
١٠٥	نماذج من شعر أبي فراس
١١٩	المصادر والمراجع
١٢١	الفهرس

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com